

ذات يوم في أوكرانيا

ذات يوم في أوكرانيا/ رواية

أحمد ناصر

I.S.B.N: 978-977-6555-10-5

رقم الإيداع: 2016/5122

الطبعة الأولى: 2016

تصميم الغلاف: أحمد فرج

تدقيق لغوي: سارة صلاح

المدير العام: سيد شعبان

دار تشكيل للنشر والتوزيع

Email: publish@tashkeel-publishing.com

Mobile: 01149480827





ذات يوم في أوكرانيا

رواية

أحمد ناصر



تشكيل للنشر والتوزيع


Ketab4Pdf
ketab4pdf.blogspot.com

الفصل الأول

الانفجار

المكان: جمهورية أوكرانيا، إحدى جمهوريات الاتحاد السوفييتي، محافظة تشيرنيجوف.

الزمان :26 أبريل 1986م

التوقيت: الساعة السابعة صباحًا..

طابور طويل من السيارات روسية الصنع اصطفت بانتظام أمام بوابة المفاعل النووي السوفييتي المنشأ منذ سنوات..

والذي يقبع على أطراف مدينة تشيرنوبيل التابعة لمحافظة تشيرنيجوف الأوكرانية.

في داخل إحدى هذه السيارات يقبع (يوري إيفانوفيتش) بملامحه الباردة وشعره الأشقر وعيناه الزرقاوان الثابتتان، برغم الحنق الذي يشعر به والذي دفعه لنفث دخان سيجارته بعصبية شديدة جراء انتظار دوره للتفتيش.

التفتيش كان إجراء روتينيًّا يقوم به أمن المفاعل منذ بدء تشغيله. وبمرور السنوات، ومع استمرار العاملين به ورؤية وجوههم يوميًّا، بالتالي أصبحت وجوههم معروفة لرجال أمن المفاعل، ولرئيسهم المتغطرس (فلاديمير أوزلوف)..

أصبحت سيارة(يوري) على بُعد سيارة واحدة من بوابة التفتيش رقم 2 للمفاعل..

فأطفأ سيجارته بعصبية، وليدة انتظاره أكثر من نصف ساعة وهو يتهيأ للتفتيش.. هذا الأمر يجعله مضطرًا لأن يخرج من بيته ساعة كاملة مبكرًا قبل موعد العمل الرسمي.. رغم أنه يسكن في ضاحية تشيرنوبيل التي لا تبعد عن المفاعل سوى 30 دقيقة..

انتظر دخول السيارة التي أمامه، حتى حرَّك سيارته ليقف في مدخل بوابة الأمن مباشرة وهو يبرز تصريح الدخول المبيَّن به اسمه ووظيفته داخل المفاعل ليراه (فلاديمير) رئيس الأمن الذي أدخل رأسه داخل سيارة (يوري) من الشباك المجاور له بدون أن ينظر إلى التصريح وهو يقول بابتسامة صفراء: كيف حالك أيها الرفيق (يوري)؟؟

– بخير أيها العقيد.. تفضل بتفتيش السيارة..!

– لا أيها الرفيق (يوري) أنت فوق مستوى الشبهات.

ثم أخفض صوته وكأنه يقول سرًّا ما: أنت تعرف أيها الرفيق.. الإدارة تشك ببعض الموظفين الجُدُد دائمًا فتعطينا تعليمات أن نقوم بمثل هذه الإجراءات السخيفة.

تردد (يوري)؛ فهو يعلم أن (فلاديمير) يحاول إيقاعه في فخٍّ ما قبل أن يقول بحذرٍ متردد: لا عليك سيدي العقيد.. إنها الأوامر العُليا.

– أعلم أيها الرفيق أنها الأوامر.. حسنًا تفضَّل بالمرور.

ثم أخرج رأسه من سيارة (يوري) الذي تنفس الصعداء ثم قام بالإشارة بطريقه متغطرسة إلى أحد الحراس ليقوم بإزالة الحاجز المعدني من أمام سيارة (يوري) وهو يقول بلهجة عجيبة لجنوده: لا تقلقوا، إنها سيارة صديقنا.. الرفيق (يوري).

ثم أشار إلى (يوري) بمعنى تحرك.. فتحرك (يوري) من أمامه.

وبمجرد مرور هذا الأخير بسيارته وابتعاده عن مرمى بصر (فلاديمير) حتى زفر بحنقٍ شديدٍ..

ثم أوقف سيارته في الأماكن المخصصة لتوقيف سيارات العاملين بالمفاعل.. وقبل أن يخرج من سيارته فتح (تابلوه) السيارة وأخرج منها زجاجة.. تحتوي على سائل أبيض.. إنها (فودكا)..

وما أدراك ما (الفودكا).. !!

فتح الزجاجة ثم تجرع منها جرعة كبيرة ظهر تأثيرها جليًّا عليه.. حيث انتفخ وجهه الأبيض واحمر قليلًا وكذلك عيناه احمرتا بشدة..

وأحسَّ بسخونة مفاجئة تجتاح جسده وأطرافه.. فزفر مرة أخرى، ولكن من تأثير (الفودكا) هذه المرة؛ فأغلق الزجاجة ثم أعادها إلى مكانها مرة أخرى ونزل من سيارته ثم أغلقها وتوجَّه مترجلًا إلى مبنى المفاعل رقم 2.

أخذ يحيّي زملاءه وهو في الطريق إلى وحدة الطاقة الرابعة التي يعمل بها..

وبعد دخوله انعطف يمينًا إلى ممرٍّ قصيرٍ، وتوجَّه إلى غرفة مكتوب على بابها غرفة تغيير الملابس.. خلع المعطف الطويل الذي يرتديه وكذلك حذاءه وقفازاته، ثم توجَّه إلى خزانته الخاصة التي تحمل رقمه وفتحها بمفتاحها الخاص.. ثم أخرج منها معطفًا أصفر اللون وحذاء طويلًا بنفس اللون ارتداهما على عجل بدون أن يحكم إغلاقهما..

ثم سار حتى وصل إلى بابٍ معدنيّ كبيرٍ عليه لافتة مكتوب عليها (الوحدة الرابعة للتبريد).

فتح الباب ثم دخل.. صُمَّت أذنه من صوت هدير الآلات والأجهزة الموجودة داخل وحدته.. انعطف يسارًا، وتوجَّه إلى غرفة زجاجية بسيطة عليها مكتبان صغيران والعديد من أجهزة الكمبيوتر والعدادات التي تراقب حالة تبريد المفاعِل..

حيَّا الجالس على أحد المكاتب بودٍّ وهو يقول: صباح الخير يا (أليكسندر) كيف حالك يا عزيزي؟

– بخير عزيزي يوري، يبدو أنه سوف يكون يومًا طويلًا نوعًا ما.. هناك مشاكل في بعض أجهزة تبريد القطاع الثالث والرابع والعدادات تبثّ منهم درجة حرارة أعلى من المألوف بست درجات مئوية..

قطبَ (يوري) حاجبيه وقال بلهجة قلقة:

– حسنًا ، أرسل فريق صيانة كامل بمعداته، ومعهم أحد المهندسين الجدد.

ردَّ عليه (أليكسندر) وقد تبدلت ملامحه إلى ملامح مذعورة وهو يقول:

– لا يا (يوري) هؤلاء المهندسين الأوكران حديثو العهد ولم يواجهوا من قبل مشكلة كهذه.. إنهم لم يمكثوا هنا أكثر من 10 أيام فقط.

– إنها مشكلة بسيطة يا (اليكسي) لا تقلق أي مهندس مفاعلات معدوم الخبرة سيتمكن من السيطرة على مثل تلك الأمور..

– حسنًا (يوري) إنها منطقتك وأنت المسئول عنها ولكن، تذكَّر لقد حذرتك.

– لا تقلق أيها المتحذلق.. فقط أعطِ الأمر وستسير الأمور كلها بطريقة جيدة..

رفع (أليكسندر) سماعة الهاتف الداخلي وأصدر أوامره إلى قسم الصيانة أن يتجه فريق صيانة مع اثنين من المهندسين المستجدين بالمفاعل لاكتشاف موطن العطل وإصلاحه..

أغلق (أليكسندر) الخط وهو يعلم في قرارة نفسه بأنه أخطأ بموافقة (يوري) على إرسال مهندسين اثنين تقريبًا معدومي الخبرة لإصلاح أمر جلل كارتفاع درجة حرارة مفاعل يغطي طاقة نصف أوكرانيا تقريبًا..

ولكنه لم يعلم أنه قد ارتكب خطأ سيؤدي إلى إزهاق أرواح كثيرة.. وستكون روحه أول هذه الأرواح.

*****

المكان: موسكوفا (موسكو)

الزمان :29 ديسمبر 1981م

التوقيت: الواحدة بعد منتصف الليل.

لقد كان شتاءً طويلًا.. شتاء عام 1981م..

في إحدى الغرف الداخلية لمبنى "الكريملن" العتيق.. مكتوب على بابها (قسم التطوير والابتكارات) كانت هذه الغرفة بكل ركن فيها شاهدة على أعتى أدمغة الاستخبارات الروسية KGB وأدهاها على مر السنين..

"من نجاح إلى نجاح"

قال هذه العبارة جنرال روسي كبير وهو واقف متباهيًا بأوسمته ونياشينه التي نالها عن جدارة واستحقاق، لقد خاض العديد من حروب بلاده العظيمة..

سواء حروب عسكرية أو.. عقلية

ثم أضاف وهو يمسك بيده اليمنى كأسًا صغيرة من (الفودكا) المخففة بمقطر الليمون وفي اليد الأخرى سيجارة روسية الصنع نفَّاذة الرئحة بشكل قوي:

لقد خرجنا منتصرين من حرب عالمية.. ونهضنا من كبوتنا..

وأضاف في نشوة وهو مغمض العينين كأنه شاعر حالم بحبيبته وبصوت خفيض:

– لقد غزونا الفضاء.. وصنعنا القنبلة الذرية، وأصبحنا قوة لا يُستهَان بها في عالمنا الجديد..

عندما تلاعبنا بذرة لا تُرى بالعين المجردة لنصنع منها أقوى سلاح عرفته البشرية قادر على إهلاك مئات بل آلاف البشر في لمح البصر..

فتح عينيه ثم ارتفع صوته فجأة وهو يحرك يديه في حركات مسرحية وهو يقول :

فما بالك لو تلاعبنا بخلايا البشر والحيوان والنباتات؟؟ماذا يمكن أن نصنع من هذا؟؟

كان هناك رجل آخر يجلس أمامه بزِيٍّ عسكري مختلف وبرتبة أقل من رتبته، ولكنه يتمتع بهيبة أكسبه إياها كونه مستشارًا مباشرًا لرئيس البلاد.

تراجع هذا الرجل على مقعده مسترخيًا وهو يقول بغطرسة واضحة:

– عزيزي الرفيق (بيتروف)، أعلم أنك متحمس وهذا جيِّد بالطبع ، لكن لابد أن تلقى فكرتك نجاحًا مبهرًا.. فالجميع ينتظرون نتيجة عملك هذه المرة بكل اهتمام.

–لا تقلق عزيزي (سيرجي)، تخيل معي فقط للحظة.

قطع حديثه، ثم أخذ يسير ببطء ويرفع عينيه محملقًا في سقف الغرفة وكانه يشاهد أمرًا ما ، لا يراه غيره، وعلى وجهه علامات نشوة غريبة.

واستطرد قائلًا: تخيَّل معي فقط مئات من الجنود.. لا لا، قُل آلافًا من الجنود.. لا يتأثرون بالرصاص أو بشظايا القنابل والصواريخ.. تستطيع أن تجعلهم يطيرون بدون أزياء واقية.. يغوصون لأعماق البحار بدون أكسجين.. حتى أنه بإمكانهم السير على القمر بملابس النوم..

تخيَّل معي أن أرسلناهم إلى السواحل الأمريكية.. سنسيطر على عاصمتهم واشنطن في غضون أيام..

لم يبدُ على (سيرجي) أي تأثُّر؛ فهو رجل واقعي غير حالم.. صحيح أن (بيتروف) أذهله بعبقريته المجنونة لمرات عديدة، لكن هذه المرة الأمر مختلف.. إنه يعبث مع الخالق مباشرة.. فقال له محاولًا المرور من هذه النقطة قائلًا:

– دعنا لا نستبق الأحداث سيدي الجنرال، ولكن اسمح لي؟؟ هل تم الاستقرار على مكان التجربة الجديد..

– بالطبع يجب أن يكون مكانًا مؤمَّنا كفاية من الناحية الأمنية.. لو كان بالإمكان لجعلت مقر التجربه هنا في الكريملن ذاته.. لكن أنت تعرف لا يمكن ذلك.. ولكني وجدت مكانًا آمنًا كفاية.. الدخول إليه سيكون صعبًا وكذلك الخروج منه.

– ما هو هذا المكان؟ وأين؟

– مفاعلنا النووي الجديد في أوكرانيا..

اندهش (سيرجي) من اختيار (بيتروف)، وترجم دهشته إلى كلام مسموع وهو يقول له بدهشة عظيمة:

– أتقصد مفاعل تشيرنوبيل.. هل سنفكك مفاعلًا كاملًا لإجراء تجاربك.. اسمح لي سيدي الجنرال، الإدارة بالطبع سترفض طلبك.

– بالطبع لا أيها الرفيق، لم تفهم كلامي جيدًا.. مفاعلنا يتكون من مبنى واحد فقط إداري وملحق به المفاعل محمي بالخرسانة والجرانيت.. لكني علمت أن هناك نية مبيَّتة لدى حكومتنا لإضافة وحدة تبريد أخرى ملحق بها مبنى

إداري وآخر سكني لموظفين المفاعل من خارج أوكرانيا، وكذلك لرجال أمن المفاعل..

أخذ لرئتيه نفسًا عميقًا ثم أطفأ سيجارته وأشعل واحدة أخرى وهو يستطرد:

– أنا أريد معملي تحت هذين المبنيين الجديدين..

لم يرق الكلام للعقيد سيرجي فقال له محاولا إثناءه عن قراره: اعذرني يا جنرال.. من الأفضل أن تكون التجارب في منطقة عسكرية.. حتى تقلّ نسبة الخطر في خروج التجربة عن السيطرة..

ردَّ عليه (بيتروف) بلهجة العارف ببواطن الأمور وبثقة تامه تحمل لمحة هدوء مع بعض الحزم :

– الأمريكان يراقبوننا بأقمارهم الصناعية وكذلك بالعديد من رجالهم في أوكرانيا إذا قمنا بإنشاء منطقة عسكرية جديدة أو إدخال معداتنا في موقع عسكري معَدّ سلفًا سيلفت الأنظار إلينا وسيجنّ جنون الأمريكان لمعرفة ما خلف هذه المنطقة وأي أمر يدور بها..

أخذ (سيرجي) يومئ برأسه مؤمنا على كلام جنراله وقد بدأ الأمر ينال استحسانه: الكل يعلم في أمنا العظيمة روسيا، وكذلك في العالم أجمع، أننا سنجري بعض التعديلات والإضافات في مفاعلنا في أوكرانيا.. فبالتالي إذا أدخلنا أي كمية أو أي نوعية من الآلات والأجهزة والرجال أثناء بناء باقي المفاعل لن يشك أحد بالأمر.. حتى إذا حاول الأمريكان التحري عن الأمر.. سيجدون أننا فعليًّا نحسِّن من قدرة مفاعلنا.. وبالتالي لن يشغلوا بالهم بنا..

ثم صمت وأخذ نفسًا عميقًا من سيجارته الطويلة وهو يقول: ولا تنسَ أيها الرفيق أن جزءًا كبيرًا من التجارب القادمة سيكون بالفعل نوويًّا.. بحقك يا

رفيقي كيف سأدمج خلايا إنسان بدولفين مثلًا إذا لم يكن هناك تفاعل قويّ.. نوويّ مثلًا.

قام (سيرجي) من مقعده وهو يصفق في جذل عجيب؛ فلقد أعجبه الأمر برمته وهو يقول:

– ليس من الغريب أن تصدر هذه التحليلات والاستنتاجات الرائعة من العقل الأول لدينا في ال KGB.. سوف أنقل وجهة نظرك بصدق للرئيس وإدارته.. وثِق تمام الثقة أني بجانبك هذه المرة بكل قوتي.. وسيكون أمر بناء معملك الجديد على قمة أولوياتي في هذه الفترة..

ثم اقترب من (بيتروف)وصافحه وشدَّ على يده تعبيرًا عن إعجابه بعقلية الرجل الاستخباراتية وهو يقول له باهتمام صادق :

– صدقني لو كل رجال أمنا العظيمة روسيا مثلك تمامًا.. سوف تعود أمنا أقوى مما كانت .. شرف لي أني قابلتك وعملت معك..

تحياتي سيدي..

ودار على عقبيه تاركًا (بيتروف) وحده غارقًا في أحلامه.. لم يكن وحده بالمعني المألوف لدينا..

لم يدرِ(سيرجي) أو حتى(بيتروف) أن أحدًا ينظر إليه جيدًا.. يحدق في عينيه بشدة.. إنه هناك.. يقبع في زاوية عقله المظلمة المنسية، وحيدًا..

يتلاعب بأفكاره وذكرياته..

لا أحد يراه.. ولكنه يرى الجميع.

*****

الساعة التاسعة والنصف صباحًا داخل مفاعل تشيرنوبيل.. أصوات الإنذار تتعالى بصورة مستفزة، مصابيح صفراء صغيرة أضافت حالة من التوتر مضافًا عليها حالة من الهرج والمرج تسود داخله..

في حين كان (يوري) موجودًا داخل الغرفة المباشرة المسئولة عن تبريد المفاعل وفي يده جهاز لاسلكي يصيح من خلاله على أحد المهندسين الذين نزلوا إلى قلب وحدة التبريد وهو يقول بعصبية شديدة ولَّدتها صعوبة الموقف:

– كيف تقول أنك حتى الآن لم تجد الخلل المسئول عن رفع درجات الحرارة بهذا الشكل.. هل كل الأمور الصعبة يجب أن أقوم بها بنفسي؟؟!

جاءه صوت المهندس الشاب لاهثًا وهو يحاول الدفاع عن نفسه:

– صدقني يا سيدي درجة حرارة المفاعل تزداد تدريجيًّا بدون أي سبب ظاهري..

اختطف (أليكسندر) اللاسلكي من يد يوري وهو يصيح بعصبية:

– هل القياسات لديك كلها سليمة؟؟ كل الأنابيب التي تضخ ماء التبريد متصلة ببعضها البعض؟؟

ردَّ عليه المهندس الشاب وقد بدا صوته يختنق من الانفعالات المحيطة به:

– نعم يا سيدي.. لا توجد أخطاء ظاهريًّا..

أخذ (يوري) اللاسلكي من يد (ألكسندر) ووضعه جانبًا ثم نظر في عينيه مباشرة وهو يقول له في صرامة:

– استعد ، سوف نذهب إليهم بأنفسنا..

لم يرد عليه (أليكسندر) قولًا بل فعلًا؛ عندما أحكم إغلاق بذلته جيدًا ووضع الخوذة على رأسه..

ثم أشار إلى (يوري) بأنه جاهز للنزول معه إلى أعماق المفاعل..

*****

15 يناير 1982م

جلس الجنرال (بيتروف) خلف مكتبه الضخم القابع داخل مبنى ال KGB وأمامه طبق من الكافيار يأكل منه بنهم وأمامه العديد من الأوراق يتفحصها باهتمام وهو جاحظ العينين بطريقة توحي إلى من ينظر إليه بأنه مجنون..

دقَّ جرس هاتفه فالتقط السماعة وهو يقول:

– الجنرال (بيتروف) هنا، من يحدِّثه؟؟

تغيرت ملامح وجهه قليلًا من الغطرسة إلى الاهتمام.. ثم الاحترام وقال بحرارة مباغتة:

– أمرك سيدي، سوف أذهب إلى هناك غدًا صباحًا.. وسوف آخذ كل ما أحتاج إليه من موسكو سيدي..

أرجو فقط أن تأمر كافة الجهات المختصة بتقديم كل الدعم والإمكانيات المتاحة لي.. فهذا يعتبر مشروعًا قوميًّا سوف يرفع رايتنا مرة أخرى على الساحة العالمية..

ظلَّ لحظات يستمع إلى محدِّثه.. ثم وضع سماعة الهاتف مكانها..

واسترخى على كرسيه وأغمض عينيه، وأخذ يحلم بالمستقبل..

المريع!!

*****

نزل (يوري) ومعه (أليكسندر) واثنان من مهندسي الصيانة الآخرين إلى الأنبوب المؤدي إلى قلب المفاعل.. وبمجرد نزولهم وجدوا المهندسين الشابين وكذلك العمال ملتفّين حول أحد الأنابيب يفحصونها باهتمام من خلال أجهزتهم..

حتى إنهم لم ينتبهوا أو يشعروا بوجودهم..

سار (يوري) إليهم وهو يقول: ماذا لديكم هنا؟؟

تفاجأوا بوجوده هو و(أليكسندر) استداروا إليه بذعر اختفى سريعًا بمجرد تبيُّن ملامحه من خلف القناع الذي يرتديه..

فقال أحد المهندسين الشباب بلهجة مذعورة: سيدي لا توجد أي أعطاب خارجية ظاهرة، لكن أجهزتنا تشير إلى وصول درجة الحرارة ال 50° درجة مئوية.

ظهر الخوف جليًّا على ملامح (يوري) وهو ينكبّ معهم على الجزء الذي يفحصونه وهو يقول: تبًّا.. !!

ثم استدار إلى (أليكسندر) بسرعة وهو يقول له بحزم :

بسرعة.. عُد إلى السطح وأؤمر بإغلاق المفاعل نهائيًّا.. لا توجد أمامنا وسيلة لتبريده وهو يعمل..

ردَّ عليه (أليكسندر) بهلع: هل جننت يا (يوري) ؟؟ نغلق المفاعل؟

نصف أوكرانيا سيصبح بدون كهرباء..!!

– أجل أؤمر بإغلاقه وإلا سنموت جميعًا هنا أيها الأحمق.. وسيموت معك نصف أوكرانيا..

بمجرد ذِكر الموت امتقع وجه (أليكسندر) حتى كاد يحاكي وجوه الموتى.. فركض مسرعًا إلى السطح ليصدر أمرًا بإغلاق المفاعل..

في حين قال أحد المهندسين الشباب لـ (يوري):

– فكرة عبقرية سيدي، فنحن نتحكم في حرارة المفاعل طوال الوقت عن طريق أعمدة الجرافيت وهي دائمًا معلَّقة أثناء تشغيل المفاعل، وبما أن أجهزتنا عاجزة عن خفض درجة حرارة قلب المفاعل، عند إغلاق المفاعل ستبدأ تلك الأعمدة بالنزول تدريجيًّا إلى قلبي المفاعل.. فتنخفض درجة الحرارة تدريجيًّا..

أهنئك سيدي.

رد عليه (يوري) بلمحة افتخار واضحة:

– لا يهم أيها الفتى، يجب أن نتدارك أخطاءنا قبل تفاقمها.. اصعد أنت أيضًا وأبلغ موسكو بإغلاق المفاعل بسبب ارتفاع حرارته واطلب أيضًا منهم إرسال فريق متخصص إلينا..

رفع المهندس الشاب يده بتحية عسكرية إلى (يوري) قائلًا في حماس: أمرك سيدي..!!

ثم صعد لينفّذ أوامر (يوري) في حين بقي هذا الأخير متسمرًا مكانه يفكر في قراره..

*****

المكان: لانغلي_ولاية فيرجينا

مكتب الخدمات الاستراتيجية.. قسم المتابعة الخارجية للاتحاد السوفييتي..

جلس (بول سينزمان) رجل المخابرات الأمريكي منهمكًا في فحص عددٍ من الأوراق وتقارير رجاله في الاتحاد السوفييتي، حتى دخل عليه أحد زملائه صائحًا: "السوفييت بدأوا في تجديد مفاعلهم في أوكرانيا"

ردَّ عليه (بول) بهدوء: اهدأ يا (جون) ما الخطأ في هذا العالم كله يعلم بنية السوفييت في تحسين قدرة مفاعلهم هذا حقهم يا رجل.. !

جلس (جون) على المقعد المقابل ل(بول) وهو يقول لاهثًا:

– الأمر ليس كذلك.. الأمر ليس كما تظن يا (بول).

– حسنًا يا صديقي.. أرني ما لديك؟

قام (جون) بإخراج أوراق من ملف كان يحمله وهو يقول: هذه معلومات جديدة صادرة عن قسم المتابعة الخارجية المختص بشئون السوفييت.. السوفييت يسعون إلى تطوير نوع جديد من الأسلحة..

نجحت العبارة في جذب انتباه رجل الاستخبارات الأمريكية وهو يقول: أي نوع من الأسلحة نووية أم بيولوجية أم ماذا؟؟

– لا، إنهم يجرون تجارب جينية..

– جينية.. أتقصد الجينات البشرية..؟؟ كيف سيصنعون سلاحًا بهذا العبث بحقك؟؟

ردَّ عليه (جون) قائلًا: تخيَّل معي يا عزيزي (بول) إنهم نجحوا في دمج جينات بشرية بأخرى حيوانية مثلًا.. سيصبح لديك كائن يتميز بقوة العقل وبالذكاء وبالقدرة على التخطيط واتخاذ القرارات بعد دراستها.. وكذلك لدية القوة والشراسة التي تحملها جينات الحيوانات.. إنه مزيج مرعب بحق.. !!

قال (بول) معقبًا على كلامه: لا أظن أن هذا ممكن.. العقل والرصاص فقط هما من يحسمان المعارك.. لن نقاتل فتى الأدغال أو الرجل الخفاش هنا.

أخرج (جون) ورقة مذيَّلة بتوقيع رئيس ال **C.I.A** وهو يقول بلهجة شامتة:

– حسنًا يا صديقي العزيز، هذا تكليف شخصي رسمي لك من الرئيس بأن تكون أنت شخصيًّا المسئول عن هذا الملف..

قال (بول) باستنكار: أنا..!؟؟ بالطبع لا لدي العديد من الأشياء المهمة التي أقوم بها.. أنا أعمل الآن على قضية الجاسوس السوفييتي الذي وقع بقبضة رجالنا في ألمانيا الغربية..

هزَّ (جون) كتفيه بمعنى أنه لا يدري أو أن الأمور خارجة عن سيطرته وهو يقول لـ(بول): في هذه الحالة يمكنك أن تكلم الرئيس شخصيًّا..

قام (بول) من على مكتبه بحركة حادة وهو يلملم الأوراق الخاصة بالعملية وهو يقول لـ (جون) :

– حسنًا، سأعتبر أنها إجازة من العمل وأقوم بمتابعة هذه الأشياء السخفية.. إنسان بصفات حيوانية.. إنكم تعيشون أوهامًا..

هزَّ (جون) كتفيه مرة أخرى وهمَّ بالرحيل إلا أن (بول) استوقفه وهو يقول له:

– (جون).. هل نقوم نحن أيضًا بمثل هذه التجارب؟؟

ردَّ عليه (بول) بسرعة كأنه يحاول أن يخفي شيئًا: بالطبع لا يا عزيزي.. إنها أمور صعبة التحقيق.

– إذن لماذا تريدون التأكُّد من أن السوفييت لا يقومون بهذه الأمور..

مال عليه (جون) وهو يقول بنبرة منخفضة:

– (بول).. عزيزي.. نحن رجال مخابرات، يدفعون لنا من أجل العمل.. لا من أجل إلقاء الأسئلة..

ثم أدار ظهره إلى (بول) وسار عدة خطوات لكنه توقف فجأة وهو يقول له (بول):

– لكن.. اعلم أن أي أمر سيؤدي إلى تفوق الولايات المتحدة على جميع الأعداء، سوف نفعله بدون تأنيب ضمير..

ثم غادر تاركًا (بول) غارقًا في كومة من الأوراق.. وبحر من التساؤلات.

*****

المكان: قلب مفاعل تشيرنوبيل

الزمان :26 أبريل 1986م

التوقيت: 1:23 بالتوقيت المحلي

جلس (يوري) في قلب المفاعل.. يراقب عمال الصيانة والمهندس الشاب الذي تبقى معه.. ثم نظر مطوَّلًا إلى السقف وبدأ يحدِّث نفسه بصوت مسموع إلى حدٍّ ما قائلًا:

– أعمدة الجرافيت عندما تنزل إلى قلب المفاعل.. سترفع درجة الحرارة لحظة نزولها إلى أكثر من 80 درجة مئوية للحظات قبل أن يغلق المفاعل وتنخفض حرارته..

نظر إليه المهندس الشاب بشيء من التساؤل في حين تابع (يوري) وكأنه انفصل عن الواقع المحيط به: سيؤدي ذلك إلى انثناء أعمدة الجرافيت ويمكن أن تنكسر أيضًا من ارتفاع درجة الحرارة بصورة كبيرة وبالتالي..

قاطعه صوت المهندس الشاب مذعورًا وهو يقول:

– لن تنخفض درجة حرارة المفاعل، أليس كذلك؟؟!

قال له (يوري) بصوت منخفض:

– بل سيحدث الأسوأ أيها التعس.. ستتسرب الإشعاعات النووية خارج المفاعل ملوَّثة المدينة بأكملها..

أخذت حالة من الهرج والمرج والصياح جميع الموجودين بقلب المفاعل عندما سمعوا صوت فرقعة عنيفة.. وكأن المفاعل يتهدم على من فيه.. وازداد الأمر سوءًا مع تعالي صوت صفارة الإنذار التي أخذت تدوي بعنف وتصم آذانهم، وكذلك إضاءة العديد من المصابيح الحمراء الصغيرة المنتشرة داخل قلب المفاعل..

هنا قال (يوري) بصوت مرتجف:

– الأمر الذي كنت متخوّفًا منه قد حدث.. يوجد تسرُّب إشعاعي..

ثم أضاف موجهًا كلامه إلى من معه بلهجة آمرة:

– احكموا إغلاق ستراتكم وشغلوا مضخات الأكسجين فيها.. نحن لم نعلم بعد إلى أي مدى وصل التسرب أو ما هي كميته..

ثم توجَّه إلى الأنبوب المؤدي إلى سطح المفاعل.. فتبعوه، وبمجرد صعودهم إلى السطح، هالهم ما رأوا..

الجميع يجري بلا هدف.. صراخ.. إلقاء أوامر هنا وهناك من أجل السيطرة على الأمور..

الكل على وشك الموت..

وقف (يوري) حائرًا؛ فهو لا يدري ماذا يفعل.. وأخذ يحاول البحث بعينيه على (أليكسندر)، ولكنه لم يجده..

ثم فجأة حدث الانفجار..

انفجار مروّع.. سمعه نصف سكان أوكرانيا وترافق مع صوت الانفجار.. ضوء هائل.. كأن شمسًا أخرى أشرقت على أرض أوكرانيا.

وعندها..

ساد السكون التام.. !!

سكون الموت والدم..

* * *

الفصل الثاني

الماضي اللعين

أواخر عام 2015م

مرحبًا بك ياصديقي العزيز، جئت لك اليوم بقصة جديدة.. ومفاجئة أيضًا..

أنا أعلم أنك تميل دائمًا إلى نظريات المؤامرة، وتميل أيضًا إلى تصديقها.. الأوغاد يتحكمون بنا، الملاعين يحكمون من وراء الستار، التاريخ المحرم..

حسنًا، ربما هذه المرة أنت محق تمامًا.. أجل

لقد وجدت على بعض مواقع الإنترنت، موضوعًا له علاقة بمفاعل تشيرنوبيل الذي كنت تسألني عنه منذ بضعة أيام بحُكم عملي في أوكرانيا..

أنت تعلم الآن الروس يستميتون من أجل احتلال شِبه جزيرة القرم والعودة منها إلى أوكرانيا مرة أخرى.. تري ما سر استماتة الروس على وجودهم في أوكرانيا.. حتى لو وقف في طريقهم المجتمع الدولي كله..

أنا معي مفتاح اللغز..

أنت تعلم لم تعد كلمة (سري للغاية) بغيضة كما كانت في ستينيات القرن الماضي.. أجل جوابك صحيح إنه الإنترنت مرة أخرى..

تلك الشبكة العنكبوتية التي رويدًا رويدًا قضت على خصوصية الأفراد ومن ثم خصوصية الدول والحكومات أيضًا..

المهم..

لقد تم تسريب مجموعة من المذكرات التي ظلت لمدة 18عامًا حبيسة الإدراج..

يقال إن تلك المذكرات تخص واحدة من العلماء الأمريكان الذين ذهبوا في بعثة علمية إلى أوكرانيا بعد حدوث الكارثة النووية.. بحجة مساعدة السوفييت في التغلب على آثار الانفجار.

تلك المذكرات هي بمفردها كارثة.. لكنها ليست نووية بل بشرية

لأنها تميط اللثام عن مجموعة من التجارب المجنونة.. كان يتبناها جنرال سوفييتي مجنون..

تجارب جينية يا عزيزي.. وكانت تُقام هذه التجارب تحت قطاعات التبريد المسئولة عن خفض درجة حرارة المفاعل..

تلك القطاعات التي حدث بها العطل الذي أدى إلى تدمير المفاعل..

باختصار يا صديقي، هذه التجارب كانت تهدف إلى إنتاج جيل جديد من المقاتلين..

يمكن لهؤلاء المقاتلين القتال في أعماق البحار.. وفي أعلى طبقة من طبقات الغلاف الجوي.. وفي أقصى درجات الحرارة انخفاضًا وارتفاعًا.. بدون أجهزة أو أدوات مساعدة..

يمكنهم حتى السير على القمر بمفردهم..

ببساطة: كان الروس يسعون إلى إنتاج مقاتل لا يقهر يحمل الصفات البشرية والحيوانية..

فالإنسان يفتقر إلى قوة الحيوان وقدرته على التكيف مع العوامل الخارجية.. بينما لا يمتلك الحيوان العقل..

تخيَّل عندما تواجه حيوانًا عاقلًا ويفكر يكمن لك ويحاول نصب الشراك والخدع.. أنت هالك لا محالة إذا حدثت تلك المواجهة..

المهم..

عندما فكر السوفييت في هذا الأمر.. أخطأوا خطأ شنيعًا؛ لأنهم تحدوا إرادة الخالق.. وعندما تتحدى إرادة الخالق فلا أمل لك في النجاة..

وهذا ماحدث للسوفييت أيضًا؛ فمحاولة تهجين كائن بشري بصفات حيوانية.. لم يأتِ عليهم ذلك الأمر سوى بواحدة من أسوأ الكوارث النووية التي حدثت على مدار التاريخ البشري..

ماذا؟؟

أنت تسأل إن كانت حكومتنا تقوم بمثل تلك التجارب..

هههه ابحث على الإنترنت وستعرف جواب ذلك بنفسك، إنه أمر بديهي.. لا يهم ذلك الآن فلنعود إلى موضوعنا..

كما تعلم يا صديقي أن كارثة مفاعل تشيرنوبيل قد مرت بأربع مراحل هي:

المرحلة الأولي: الانفجار الكبير.

المرحلة الثانية: محاولة السوفييت التكتم على الأمر.. ظنوا أنهم في إمكانهم إخفاء أمر انفجار نووي.. أغبياء!!

المرحلة الثالثة: بدء تكون سحابة نووية، وبدء انتشارها ووصولها إلى شرق أوروبا.. واجتياحه لبعض الدول كألمانيا والنمسا.

المرحلة الرابعة: رضوخ السوفييت للأمر الواقع عندما تأكدوا بنسبة 100% أنهم لم ولن يستطيعوا السيطرة على الأمور.

لكن بالطبع هناك نقطة أخرى غائبة عن النقاط الأربعة السابقة فما هي؟؟

أحسنت، سؤال ذكي؟؟

فعلا استطاع الروس السيطرة لفترة من الزمن على أمر التسرب الإشعاعي والتلوث الناتج عنه.. لكن مالم يستطيعوا السيطرة عليه فعليًا على أمر الواقع..

هو سلاحهم السري الذي أصبح موجَّه إلى صدورهم وأعناقهم هم فقط..

لكن ليت الأمر اقتصر على انقلاب سلاحهم السري عليهم فقط.. لكن هذا السلاح انقلب على البشرية جمعاء..

النقطه الأهم:

بعد أن طلب الروس للدعم من كل دور العالم الصديقة وغير الصديقة.. جاء دور حكومتنا الأمريكية بطيبة قلبها المعهودة.. وعرضت على السوفييت إرسال بعثة علمية مزوَّدة بأجهزة حديثة جدًّا لمحاولة احتواء التسرب الإشعاعي..

فرِحَ السوفييت جدًّا.. سيدخل فريق أمريكي إلى أرضهم وتحت سمعهم وبصرهم ومعهم أجهزة حديثة.. قال لسان حال الروس في ذلك الوقت فلنستفيد من التكنولوجيا الأمريكية ولو مؤقتًا..

وفرحت حكومتنا أيضًا.. لأن بعثتنا ستذهب إلى أرض الأعداء بدون تعقيدات سياسية أو عسكرية أو حتى دبلوماسية.. فالبعثة ذاهبة بناء على طلب مباشر من السوفييت الحمقى..

مع العلم أن السوفييت سمحوا للبعثة في التواجد في المنطقة المحرمة التي وصلت نسبة الإشعاعات فيها إلى 80%

هذا الجزء بالطبع لم تصل إليه أي دولة في العالم سوى البعثة الأمريكية.. لقد نصب السوفييت لنا فخًّا ونحن وقعنا فيه بمهارة..

بالنسبة للبعثة كانت بعثة علمية على الورق فقط.. لكن الحقيقة أن 40% منها فقط علماء، أما الباقون عسكريون أو رجال استخبارات.

ورحل الجميع إلى أوكرانيا..

حسنًا يا صديقي لا تتعجل الأمور ، سوف أقص عليك الآن ما كُتِبَ في المذكرات الخاصة ب (ايميلي سنودون) أحد العلماء المشاركين في تلك البعثة.. بعثة الموت.

ولكن اعلم.. سأقص عليك ما كتب فقط.. لن أزعجك باستنتاجاتي أو تخيُّلاتي.. سأضع قدمك على أول الطريق.. وأنت عليك الوصول للنهاية..

من الآن فصاعدًا.. خيالك هو المسئول عن الأمر.. فقط خيالك يا صديقي..!!

*****

قبل أن أقصّ عليك ما كُتِب في المذكرات أودّ أن أعرِّفك بأعضاء تلك البعثة:

جاك: رئيس البعثة العلمية من الناحية الرسمية.. أما الناحية الفعلية فهو رجل استخبارات محنَّك.. خاضَ العديد من المواجهات مع السوفييت من قِبَل في دول أوربّا الشرقية.

مارك: عالم نووي.. ومختص بتطوير الأسلحة النووية.

أليكس: مهندس نووي ومصمم مفاعلات نووية.

مايكل: ضابط في سلاح مشاة البحرية الأمريكية (المارينز)

إميلي: عالمة أحياء.. هي كاتبة هذه المذكرات التي سأقصها عليك بعد قليل.. كانت مهمتها في هذه البعثة هي دراسة تأثير الإشعاعات النووية المباشرة على الجسد البشري..

كريستينا: طبيبة بشرية.

ماير: ضابط في سلاح مشاة البحرية الأمريكية (المارينز)

جون: ضابط في سلاح المشاة.

كارل: طيار مقاتل بالقوات الجوية الأمريكية.

سمانثا: عالمة اتصالات.

إيه جي: قناص محترف من لواء النخبة في الجيش الأمريكي.

نيد: أحد أعضاء السفارة الأمريكية في كييف وانضم للبعثة كمترجم وكذلك كدليل أيضًا لمعرفته بتشيرنوبيل لعمله من قبل بها..

هؤلاء هم ال 12 فرد أعضاء البعثة التي أرسلتها الولايات المتحدة..

والآن سوف أقرأ عليك مذكرات إيميلي سنودون..

عليك بالانتباه والتركيز في كل كلمة كتبتها وكما قلت لك من قبل..

خيالك هو عينك الان..

*** * ***

الفصل الثالث

مذكرات إيميلي

الزمان: 1 مايو 1986م

"غدًا سأكون قد وصلت إلى تشيرنوبيل أنا والبعثة العلمية من أجل محاولة اكتشاف ما حدث في تشيرنوبيل.. وكذلك أخذ عينات من التربة ومن الجثث الموجودة بمكان الكارثة لتحليلها.. وكذلك محاولة الوصول إلى أيّ ناجين محتملين ومساعدتهم. أنا عادة لا أقوم بمثل تلك الأمور.. هذا مثير.. أظن أنه قد حان الوقت لبعض النوم"

أخذ مارك يتمطى في مقعده بملل وهو يقول لأليكس الجالس بجواره: رحلة سخيفة.. هل تعتقد أنه سوف يكون هناك أي ناجين محتملين؟؟

جاوبه أليكس بدون أن ينظر إليه: في محيط الانفجار؟؟ لا أعتقد ذلك.. في دائرة قطرها على الأقل 10 كيلومترات؟؟ لا أعتقد ذلك أيضًا؟

ضحك مارك وهو يقول:

– إذًا رحلتنا ستكون بلا فائدة.. منذ متى ونحن نذهب لمساعدة السوفييت؟ فليذهبوا إلى الجحيم..

– الأمر ليس كذلك يا أليكس، أنا فقط أقول إن نسبة الناجين لن تتعدى 1% لم أقُل إنه ليس هناك ناجون.. ثم ما أدراك أنه ليس هنالك مخابئ أمكن للبعض الفرار إليها والحفاظ على حياته.

ردَّ مارك مستعيرًا طريقة أليكس الساخرة وهو يقول: حقًّا.. لا أعتقد ذلك؟

وأعقبها بضحكة ساخرة.

ثم تساءل بجدية: حسنًا، برأيك هل تلوثت المدينة بأكملها بالإشعاعات النووية..؟

ردَّ أليكس بلهجة العارف ببواطن الأمور: بالتأكيد نسبة الإشعاعات ستكون عالية.. إلا إذا نجح السوفييت في التقليل منها.. وهذا ما لا أعتقده.. وإلا ما كانوا طلبوا مساعدتنا..

قال له مارك بصوت حمل لمحة خوف: وماذا عنا؟ماذا سوف نفعل؟

– لا شيء يا صديقي.. سنلتزم بأمور السلامة، سنرتدي بذلاتنا ونأخذ حذرنا، ولن نصاب بشيء.. المفترض يا مارك أنك عالم نووي كبير ومرشَّح لجائزة نوبل في مجالك؛ فلماذا كل هذا الخوف..

– الخوف طبيعة بشرية يا صديقي.. ثم أن مجالي لا يوجد به انفجارات نووية تودي بحياة آلاف الأشخاص.. وبالتأكيد لا يوجد بمجالي أيضًا ضرورة التعرض لإشعاع نووي..

قال له أليكس بلهجة مطمئنة: اطمئن.. لن يحدث أي شيء.. اطمئن.

*****

2مايو 1986م

"الساعة 8:10 صباحًا بالتوقيت المحلي.. مازلنا بالجو.. خلال أقل من 4 ساعات سنكون في المجال الجوي لتشيرنوبيل.. وسنستعد للقيام بالتحقيقات وإجراء أبحاثنا.. أنا متوترة جدًّا؛ لأني علمت من كلام بعض زملائي في البعثة أن مستوى الإشعاعات سيكون مرتفعًا.. سنرتدي بذلات واقية من الإشعاعات النووية.. وسنتزود بمضخات أكسجين.. للحالات الطارئة..

الساعة 12:37 هبطنا بالطائرة بسلام على مدرَّج الطوارئ المنشأ من قبل السوفييت حديثًا.. بعد هبوطنا أقمنا معسكرًا بسيطًا عبارة عن ثلاث خيام للنوم وخيمة للاجتماعات بها معمل وأغلب أجهزتنا.. قمنا بأخذ عينات من التربة.. وبعض المياه الراكدة في المستنقعات والبرك المكوَّنة حديثًا من المطر الحمضي المتساقط جراء الانفجار.. وكذلك قياس مستوى الإشعاع في المنطقة المحيطة بنا.. أنا حقًّا لست متأكدة في أي منطقة نحن.. لكن أستطيع أن أرى بوضوح العديد من المباني المهدَّمة من أثر الانفجار..

على أي حال.. الرؤية ليست جيدة..

بعد عناء في البحث.. لم نجد أيَّ مصابين أو جثث..!!"

– هل لديك خبرة في التعامل مع حالات التلوث الإشعاعي؟؟

ألقت إيميلي هذا السؤال بصوت مرتجف للطبيبة كريستينا التي ردت عليها قائلة: الإسعافات الأولية فقط التي لدي.. لكن ليس لدي أي خلفية تمامًا عن هذا الأمر.. لكن لماذا؟؟

– سمعت بعضهم يقول إن نسبة الإشعاعات آخذة في الزيادة..

– هذا أمر متوقع إميلي، لم نوافق على خوض هذا الأمر إلا بعد أن علمنا أننا سنواجه متاعب كثيرة أولها الإشعاعات النووية المسرَّبة..

لم ترد إيميلي، ولكنها أشاحت بوجهها لتنظر من شباك الطائرة إلى الغيوم المحيطة بالطائرة في قلق مكتوم..

(نداء من قائد الطائرة الملازم كارل إلى جميع الركاب.. الرجاء البقاء في مقاعدكم وإحكام غلق أحزمة الأمان.. سنهبط في تشيرنوبيل بعد ست دقائق من الآن)

عدل الجميع وضع جلوسهم وأحكموا إغلاق أحزمة الأمان، وبدأت الطائرة في الهبوط تدريجيًّا حتى أتموا الهبوط الأرضي تمامًا على الممر المُنشَأ حديثًا من قبل السوفييت.. سواء لإجلاء السكان أو إيصال المساعدات والمعدات اللازمة للسيطرة على حريق المفاعل، وكذلك التسرُّب الإشعاعي..

بمجرد هبوط الطائرة واستقرارها على الأرض.. كان أول من خرج منها جاك رئيس البعثة تبعه كارل الطيار.. وقام الأول بمجرد نزوله من على سلم الطائرة بإدارة وجهه ناحية الطائرة.. وأخذ يستقبل زملاءه الهابطين من على سلم الطائرة حيث يصافحهم ويشد على أيديهم في ودٍّ..

بعد أن استقر الجميع على الأرض وقفوا بجوار الطائرة.. حيث كان جاك أول من تكلَّم مقاطعًا الأحاديث الجانبية بينهم، فقال بصرامة:

– أهلًا بكم جميعًا على أرض الاتحاد السوفييتي.. بالطبع يتساءل الكثيرون منكم عن سبب مجيئنا إلى هنا.. البعض يشكك أننا لسنا هنا للمساعدة.. وهذا صحيح.

تعالت همهات الاستنكار والدهشة من المدنيين في حال التزم جميع العسكريين الصمت وعقدوا أياديهم خلف ظهورهم مستمعين فقط لما يقال..

تابع جاك منهيًا الجدل الذي بدأه عندما قال:

– نحن هنا للمساعدة.. والتعلُّم..

تعالت الهمهات مرة أخرى، إلا أن جاك أوقفها بإشارة حازمة من يده وهو يقول:

– نحن الآن أمام كارثة نووية سنحاول سبر أغوارها وتحليلها بدقة تامة.. حتى لا نقع في مثل هذا الخطأ.

كلامه لم يكن مقنعًا ولو لطفل صغير في العاشرة من عمره حتى، لكنه لم يهتم وعاد يقول: نريد دراسة تأثير الإشعاعات النووية، على التربة، على الهواء، على النباتات، على البشر.. ستقولون ولِمَ لا نجري تلك التجارب في بلادنا.. أرد عليكم وأقول إن إجراء تلك التجارب من أجل الدراسات العلمية فقط لهو أمر مكلِّف ماديًّا وبشريًّا..

الآن لدينا تجربة حية وحقيقية.. وبدون أي جهدٍ أو تكلفة.. هل نتركها تمر بدون دراسة..

كان جاك رجل مخابرات محنَّك فعلًا ومتمرّسًا؛ فكان يريد استشارة الجانب العلمي في المدنيين الموجودين أمامه..

بدأوا رويدًا رويدًا الاقتناع بكلامه.. أو محاولة أن يقنعوا أنفسهم أنهم اقتنعوا بكلامه ولكن هذا لا يهم..

أشار جاك إلى رجل آخر ليقدِّم نفسه إليهم.. تقدَّم هذا الرجل حتى وقف مكان جاك وهو يقول بصوت قويّ وثابت: أنا الملازم جون آدامز.. من سلاح المشاة التابع للجيش الأمريكي. أنا المسئول عن تنظيم المعسكر، وكذلك أيضًا المسئول الأمني عنه..

سوف نقسم المعسكر إلى قسمٍ للمبيت وقسمٍ للعمل.. قسم المبيت سيكون به بمعدَّل أربعة أشخاص لكل خيمة.. أما قسم العمل المكوَّن من خيمة واحدة وهي الأكبر، ستكون للاجتماعات، وكذلك ستكون بها الأجهزة التي سنستخدمها في أبحاثنا..

نرجو تعاونكم في إخراج أغراضكم من الطائرة ووضعها هنا في المكان الذي نقف فيه..

تعاون الجميع في تنزيل حقائب وصناديق معدنية مختلفة الأحجام من بطن الطائرة..

في حين فتح "إيه جي" صندوقًا معدنيًّا كبيرًا وأفرغه مما فيه، ثم أزاح غطاءً معدنيًّا بداخل الصندوق وأخذ يخرج منه بضع بنادق آلية.. بمجرد مشاهدة العلماء للبنادق حتى دبَّ الذعر بينهم..

وصرخت (سمانثا) عاملة الاتصالات في ذعرٍ وهي تقول: لماذا هذه البنادق.. ماذا تخبئون بالضبط..؟!

قال مارك معقبًا على كلامها: هذا صحيح، إنها بعثة علمية.. ما الغرض من تواجُد رجال عسكريين بها وكذلك أسلحة؟؟

همَّ جاك بالكلام لكن جون قاطعه قائلًا بهدوءٍ:

– أرجو منكم جميعًا التزام الهدوء، هذه الأسلحة ليست إلا للحماية فقط و..

قاطعته إيميلي قائلة: الحماية مِن مَن؟؟

استدار جون إليها في هدوءٍ قائلًا: بعد حدوث الانفجار وكارثة التسرب اشتعلت أعمال شغب وعنف وسرقة في المدينة كاملة، بل وامتدت إلى أعمال الشغب تلك إلى بعض المناطق في محافظة تشيرنيجوف.. ما أدراكم أننا لن نتعرض لهجومٍ من هؤلاء المشاغبين، خصوصًا وأن أعداد رجال الأمن في تشيرنوبيل أصبحت قليلة جدًّا.. وأقرب وحدة من وحدات الجيش السوفييتي على بُعد مئات الأميال من هنا..

قاطعه صوت (ماير)، أحد ضباط المارينز في البعثة وهو يقول بغلظة:

– ويمكن أيضًا أن نتعرض إلى مضايقات من السوفييت؛ فلهذا نحن هنا.. لحمايتكم.

ردت عليه الطبيبة (كريستين) وهي تقول له في دهشة: ولماذا؟؟ نحن هنا لمساعدتهم فقط.

ردَّ عليها جاك وقد استلم زمام المبادرة مرة أخرى قائلًا: السوفييت قومٌ سيئون جدًّا يا سيدتي صدقيني.. صدقوني جميعًا، الأمور كلها على ما يرام، لنكمل بناء معسكرنا ولنقم بعملنا.

نجح في إخماد ثورة أسئلتهم مبكرًا.. وتعاون الجميع على إنشاء الخيم ذات اللون الفضي.. حتى اكتمل بناء الأربع خيمات.. مجهزين من الداخل بتجهيزات بسيطة؛ حقائب للنوم، وكذلك علبة إسعافات أولية بكل خيمة أما الخيمة الرابعة، كان بها عدة كراسي وطاولة صغيرة، وكانت تلك الخيمة أكبرهم؛ فاطلقوا عليها (مركز القيادة).

ثم قام العسكريون بضرب سياج بسيط حول المعسكر ليقوموا بتحديده..

وبعد انتهائهم تمامًا من تجهيز المعسكر، أمر جاك المدنيين بالوقوف صفًّا واحدًا، وأمرهم بالتقدم إليه كل واحدٍ على حدة..

كان يعطي كل منهم بندقية آلية من طراز (كلاشينكوف)، ومشطًا إضافيًّا من الذخيرة، وجهاز لاسلكي صغيرًا للتواصل فيما بينهم وهو يقول بلهجة قائد عسكري:

– الآن سننقسم إلى فريقين لأخذ العينات من البيئة المحيطة في دائرة قطرها 2 كيلو متر حول المعسكر..

سيذهب مارك مع مايكل وإيه جي في الفريق (أ).. والفريق الآخر (ب) سيتكون من إميلي وأليكس وماير.

في حين يبقى الجميع داخل المعسكر.. إذا حدث شيءٌ لا تترددوا في استعمال أسلحتكم، مهمتكم هي كالتالي:

أخذْ عيّنات من التربة والنباتات، وكذلك المياه المتجمعة في البرك..

ثم صمت وهو يقول في حزم:

– التزموا بالتعليمات ولا تبتعدوا كثيرًا..

ثم أدَّى التحية العسكرية لهم و أشار لهم بالانصراف..

خرجوا جميعًا من حدود المعسكر وكل فريق توجَّه إلى اتجاه..

في الفريق (ب) أخذت إيميلي تجمع العينات هي وأليكس في حين بقي (ماير) ليؤمّنهم ويغطي ظهرهم..

قالت إيميلي لأليكس وهي منهمكة في قص أوراق نبات ما ثم أخذها بملقط ووضعها في كيس بلاستيكي بحذرٍ: هل تعتقد بوجود أي ناجين..؟

زفر اليكس بحنقٍ وهو يقول: للأسف لا أعتقد الإشعاعات النووية تقتل في غضون ساعات..

اقترب منهم (ماير) حاملًا مدفعه الرشاش بحذرٍ ثم جلس القرفصاء متوسطهم وهو يقول:

– هناك شيء غريب يا رفاق..

نظرت إليه (إميلي) متسائلة في حين سأله أليكس مباشرة: ما هو هذا الشيء الغريب أيها الضابط؟؟

تلفت ماير حوله في تردُّد ثم حسم امره وقال بسرعة:

– لا يوجد أي أثر لناجيين هنا.. هذا وارد من شدة الانفجار أو تسرُّب الإشعاع.. لكن أين الجثث.. لا توجد جثة واحدة حتى ولو لكلب أو حيوان صغير.. وبالتأكيد السوفييت لن يقوموا بنقل الجثث إلى مكان آخر أو حتى دفنها والتخلص منها..

نظر العالمان إلى بعضهما البعض في خجلٍ.. فكيف لرجل عسكري أن يفكر بطريقة منطقية في حين أنهم ينفذون الأوامر فقط.. لقد تبدلت الأدوار؛ العسكري يفكر.. والعالم ينفّذ الأوامر دون مناقشة.

قاطع سيل أفكارهم صوت جاك يأتي عبر جهاز اللاسلكي الخاص بماير وهو يقول في قلق: (ماير)، هل تسمعني؟؟ لماذا تأخرتم، لقد عاد الفريق الآخر..

التقط (ماير) جهاز اللاسلكي من حزامه وهو يقول: أسمعك بوضوح يا جاك، لقد شارفنا على الانتهاء هنا، أعطنا عشر دقائق فقط وسنكون في المعسكر..

ردّ عليه جاك: حسنًا يا ماير في انتظاركم..

نظر الثلاثة إلى بعضهم البعض ثم قام العالمان بعد أخذ العينات التي جمعاها وعادا أدراجهما إلى المعسكر.

*****



وصل أليكس وإميلي ومايرإلى المعسكر فاستقبلهم جاك ودعاهم إلى الخيمة الكبيرة..

دخلوا جميعًا؛ فقال جاك بمجرد دخوله: لقد جمع الفريق (أ) بعض العينات.. هناك عينات نستطيع تحليل نسبة الإشعاعات فيها هنا، لكن هناك بعض الأجهزة غير المتوفرة لدينا فسنضطر لحفظها لحين عودتنا إلى الولايات المتحدة..

أخذ الجميع ينظرون إلى بعضهم البعض.. فأخذ جاك نفسًا عميقًا للسيطرة على انفعالاته وهو يقول:

– حسنًا، الآن سوف أخرج أنا ومايروكارل وإيه جي ونيد والطبيبة كريستين..

نظر من نطق جاك إليه في وجل، في حين تابع هو غير عابئ بنظراتهم إليه:

– إنها المرحلة الثانية، سوف نخرج في حملة مصغرة للبحث عن ناجين محتملين أو جثث في دائرة محيطها 4 كم.

ثم نظر إلى الجميع وهو يقول: الأفضل أن ننهي عملنا مبكرًا حتى نعود إلى المنزل بدون إثارة أي مشكلة..

والآن من سمع اسمه فليتبعني إلى الخارج..

خرج الخمسة خلفه في حين بقي الستة الآخرون في قلب الخيمة بانتظارهم..

مرت ساعتان.. وجاك يتواصل مع جون عن طريق اللاسلكي ويخبره أنه لا يوجد أثر لأي ناجين أو أي جثث نهائيًّا، ثم قرر جاك أخيرًا العودة إلى المعسكر بعد أن فقد الأمل في العثور على مبتغاه.

دخل جاك ورفاقه مباشرة بعد عودتهم وهو يقول بعصبية: لا أثر لأي ناجين على الإطلاق

ماير: هذا أمر غريب، من المفترض حتى وجود جثث، أين ذهبت الجثث بحق الشيطان؟؟

جون: هل وصلت لك يا جاك أي أخبار بأن السوفييت قاموا بسحب الجثث من المدينة..؟

هزَّ جاك رأسه بمعنى (كلا).. فقالت إيميلي: أيمكن أن تكون تلك المنطقة كانت مهجورة.. ولا يوجد بها أشخاص..

نيد: لا يا سيدتي، صحيح أن المسافة بيننا وبين المفاعل أكثر من 15 كم، لكن المفترض أن هذه المنطقة عامرة بالسكان..

ألم ترَ المباني المهدَّمة والمحترقة من أثر الانفجار..؟

نظروا جميعًا إلى بعضهم البعض وقد بدأ القلق يسيطر عليهم تدريجيًّا..

قام جاك من مجلسه محاولًا السيطرة على الأمور قائلًا: أيًّا كان سننجز أعمالنا، وسنعود إلى وطننا كما قلت سابقًا، والآن لنذهب إلى النوم؛ فنحن نحتاج إلى الراحة..

ذهب الجميع إلى الخيم حسب الترتيب المتّفَق عليه .. ثم قال جاك بصرامة إلى أي جي: أي جي، أنت ستتولى نوبة الحراسة الأولى.. ويليك كارل.. كن يقظًا..

رفع إي جي يده بالتحية العسكرية وخرج معه جميع العسكريين ليخلدوا إلى النوم ماعدا جون الذي قال لجاك: حسنًا، ما رأيك؟

– هناك أمر غريب يحدث في هذه المنطقة!!

– أتظن يا جاك أن السوفييت أخلوا الجثث؟

–لا أعتقد ذلك يا جون، هناك أمر مريب.. حسنًا اسمعني جيدًا..

ثم مالَ نحوه وأخفض صوته وهو يقول: أوصل الحاجز المحيط بالمعسكر بالجهاز الكهربائي الذي أحضرناه معنا..

وانشر كل الألغام الصغيرة التي بحوزتنا في محيط المعسكر كله..

نظر إليه جون وقد بدأ القلق يتملّك منه وهو يقول بصوت مرتجف: أتعتقد أن...؟

قاطعه جاك في حزم: لا أعتقد شيئًا يا جون، نحن نؤمّن أنفسنا فقط.. للحذر ليس إلا.

أومأ جون برأسه وغادر لتنفيذ أوامر جاك..

في حين بقي جاك وحده شارد الذهن للحظات، ثم قال محدِّثًا نفسه بصوت مرتفع:

لن ينال منّا السوفييت بسهولة..

*****

3 مايو 1986م

"استيقظت الساعة الثانية بعد منتصف الليل على أصوات مفزعة تشبة صوت صريرحاد.. وكذلك صوت همهات غاضبة..

لقد كان الأمر غريبًا ، جميع من بخيمتي نائمون.. أنا مسلَّحة، وكذلك الجميع هنا أيضًا.. شعرت بشعور أفضل، أخذت مسدسي وخرجت من الخيمة..

لأجد الجميع بالخارج..

لا نعرف ماهو مصدر هذا الصوت المخيف.. قررنا أن نبحث عنه بأنفسنا.. تم تقسيمنا إلى فريقين، وانطلقنا خارج المعسكر للبحث عن مصدر الصوت..

يبدو أن الأمور تذهب إلى الأسوأ؛ فقد فقدنا كارل الطيار.. "

استيقظت إيميلي من نومها على صوت صرير حاد تناهى إلى مسامعها.. فانتفضت كقطة صغيرة وسط بركة مياة باردة..

فخرجت من كيس نومها.. وتعجبت كيف أن شركاءها في الخيمة لم يستيقظوا بسبب الصوت..

ازداد صوت الصرير حدة، ثم تبعه صوت همهمات غريبة..

ذهبت إلى خارج الخيمة، ولكنها توقفت فجأة..

هل توقظ زملاءها؟؟.. أم تذهب لترى مصدر الصوت؟؟

غلبتها طبيعتها العلمية وكذلك فضول الأنثى داخلها دفعها أن تُحضر مسدسها وتذهب إلى خارج الخيمة..

لتجد كل أعضاء البعثة في محيط المعسكر ممسكين أسلحتهم ويدورون حول أنفسهم في خوف وقلق.. يحاولون إيجاد مصدر الصوت..

حالة من الذعر تسيطر على الجميع.. خصوصًا المدنيين الذين أصبحوا يتحركون بطريقة غير منتظمة حتى توقف الصوت مرة واحدة؛ فصرخت (سمانثا) في ذعرٍ قائلة: ما هذا الصوت؟؟ يفترض أن المدينة لا يوجد بها أحد..

خرج رفاق إيميلي الثلاثة من الخيمة بعد صراخ (سمانثا)، وقال كارل وقد كان أحدهم: تبًّا.. هل سمعتم يا رفاق هذا الصوت؟؟

نظروا جميعًا إليه في خوفٍ فغمغم قائلًا: سمعتموه.. جيِّدأنني لم أكن أهلوس.

ردَّ عليه جالك قائلًا: حسنًا.. لا تسمحوا لاخوف أن يسيطر عليكم ويشل تفكيركم، فأنتم علماء أفذاذ في مجالكم..

فلا ينبغي أن نجعل أي شي يسيطر على أعصابنا ويحطمها..

اقترب منه مارك ثم دفعه بحِدّة بيده في صدره وهو يقول:

– ألم تسمع أيها العبقري.. ما هذا الصوت؟؟

توتَّر الجميع ورفع العسكريون سلاحهم في وجه مارك الذي لم يبدُ عليه أي تأثُّر بتاتًا..

عاد جاك إلى موضعه أمام مارك بعد أن أرجعته الدفعة خطوتين للخلف وهو يشير إلى رجاله بأن يهدأوا ثم يقول لمارك بصوت حاول أن يجعله هادئًا:

– بلى، قد سمعت الصوت مثلك.. ولكن هل سأسمح للخوف أن يشلّ تفكيري وأمكث مكاني حتى أموت ..

لا بالطبع أيًّا كان هذا الشيء الذي أصدر تلك الأصوات لن ينال منّا..

عقَّب جون على كلامه: من الممكن أن السوفييت يسعون إلى إخافتنا لمغادرة مدينتهم اللعينة..

ردَّت عليه إيميلي متخلية عن حالة الصمت التي أصابتها منذ سماعها تلك الأصوات فقالت: إذًا فلنفعل ما يريدون، ونتركهم يتصرفون في بلادهم كيفما أرادوا..

ردَّ عليها جاك: الأمر ليس بهذه البساطة.. نحن هنا في مهمة رسمية كُلِّفنا بها من قِبَل حكومة دولتنا.. ولن نتراجع أبدًا.

تحرك جون حتى واجه الجميع ثم عقدَ كفيه خلف ظهره وهو يقول في اعتداد غريب:

– لن نسمح للسوفييت أو لغيرهم، بتأخيرنا عن واجبنا؛ فنحن جميعنا مدنيون وعسكريون مواطنون أمريكيون مخلصون.. سننفذ الأوامر المطلوبة مننا بدقة وتفانٍ..

لم يؤثّر كلامه عليهم؛ فعقولهم العلمية الآن تحاول وضع تفسيرات منطقية لما سمعوه..

لاحظ جون استمرار ارتباكهم فتابع قائلًا: حسنًا، لن أحاول استثارة مشاعركم الوطنية.. ولكني سأقولها بلهجة صريحة..

لننجز أعمالنا ونختصر وقت قيامنا بمهمتنا هنا.. ونغادر بأسرع وقت، هذا الجحيم السوفييتي.

اندهش الجميع من طريقته لكنه لم يهتم وتابع:

– اليوم سننجز كل أعمالنا.. سننقسم إلى فريقين كل فريق يضم ثلاثة مدنيين وثلاثة عسكريين..

سنقوم بأخذ كل العينات المطلوبة.. وسنوسع دائرة البحث عن ناجين أو أي جثث في محيط المعسكر لمسافة ثمانية كيلو مترات..

قبل المنطقة المحرَّمة للمفاعل التي يحذر الاقتراب منها بسبب النشاط الإشعاعي المرتفع بها.. ثم نعود إلى معسكرنا ونأخذ أغراضنا ونغادر هذا المكان المنكوب..

وافقه الجميع بإيماءات من رؤوسهم في حين تابع هو قائلًا: لكن قبل القيام بعملنا الأصلي، علينا أن نكتشف ما هو مصدر الصوت الذي أفزعنا جميعًا.. لذلك سنجعل مهمتنا مزدوجة.

نظروا إلى بعضهم البعض في توتر.

لم يمهلهم جاك وقتًا للتفكير؛ حيث قال بصرامته المعهودة: حسنًا، بما أن الملازم جون هو المسئول الأمني فسننفّذ توصيته على الفور حيث ننقسم إلى فريقين..

الفريق الأحمر يضم كلا من: أنا ، إيه جي ، مايكل ، ايميلي ، مارك ، سمانثا.

الفريق الأزرق يضم: جون ، ماير ، كارل ، نيد ، اليكس، كريستينا.

سنأخذ ما يكفينا من طعام وشراب وذخيرة إضافية..

سينطلق الفريق الأزرق إلى الغرب.. والفريق الأحمر إلى الشرق.

نأخذ عينات من كل شيء يقابلنا.. نحاول تصوير المنطقة كاملة حتى أقرب دائرة من المفاعل.. إذا وجدنا ناجين يتم فحصهم فحصًا شاملًا ثم تسليمهم إلى السوفييت.. إذا وجدنا جثث لأي كائن حي يتم أخذ عينات كافية منه لتحليله.. وفي نفس الوقت نحاول اكتشاف مصدر تلك الأصوات الغريبة..

وبعدها نعود إلى المنزل بدون مشكلات.. استعدوا للانطلاق.

واستعدوا لقضاء يومكم الأخير في أوكرانيا..

لم يعلم كم كانت جملته صادقة؛ فهذا هو اليوم الأخير.. بالفعل!!

*****

خرج الفريقان خارج حدود المعسكر، واتجه كلٌّ منهما في اتجاه..

نرى الآن فريق الملازم جون المكوَّن من: ماير وكارل ونيد وأليكس وكريستينا.

وهم يسيرون ببطء، شاهرين أسلحتهم عبر أحد الشوارع المحيطة بالمعسكر الخاص بهم..

استمر مسيرهم لمدة ساعة ونصف بدون راحة.. الجميع بالفعل كانوا يرغبون في إتمام أعمالهم ومغادرة هذا المكان..

كان ماير وأليكس في المقدمة ثم جون وكريستينا بالوسط وفي المؤخرة كارل ونيد..

كان الصمت يحيط بهم لا أحد لديه القدرة على التكلُّم عمّا حدث..

لا أحد يريد التحدث عن مخاوفه..

وأثناء سيرهم.

أثار انتباههم آثار التدمير لكل المباني المحيطة بهم.. قطع كارل حاجز الصمت وهو يقول لهم: لا أعتقد أننا سنجد شيئًا في هذه المنطقة.. لنتوقف هنا ونأخذ العينات المطلوبة ثم نعود أدراجنا..

قاطعه جون قائلًا: لا أعتقد ذلك، مازال لدينا حوالي ثلاثة كيلو مترات قبل أن ننهي منطقة بحثنا..

زفر ماير بحنق وهو يقول: لا أثر لأي ناجين هنا أو حتى جثث..

أليكس: ما يحيرني فعلًا هو عدم وجود جثث، هناك أمر مبهم يحدث ثم أن...

قاطعه توقُّف ماير أمامه والارتطام به.. فعدل أليكس منظاره الطبي وهو يقول لماير: ماذا دهاك يا رجل..؟

أشار لهم ماير بإصبعه على مكانٍ ما.. تتبعوا جميعًا مكان إشارته.. فوجدوه يشير إلى مبنى، أو بمعنى أصح مبنيين متجاورين كل بناية مكوَّنة من طابقين.

يحيط بهما سلك شائك.

ومكتوب على السلك كلمات باللغة الروسية.. الغريب هنا أن هذين هما المبنيان الوحيدان اللذان لا توجد بهما آثار دمار واضحة..

اقتربوا جميعًا من المبنيين، ثم أشار جون لنيد وهو يقول له: أنت الوحيد الذي تجيد لغة السوفييت.. ما المكتوب على هذه اللوحة..؟

– مكتوب عليها الكتيبة السادسة عشر/ سكن الضباط.

قال ماير: إذن هذا مبنى عسكري.. جيِّدفلنتابع السير..

أمسكه جون من ذراعه وهو يقول: الم تلاحظ شيئا غريبا أيها الذكي.. ؟

لم يجاوبه جون بل تكلمت الطبيبة كريستينا بعد فترة طويلة من الصمت وهي تقول:

– بلى، هاذان المبنيان غير مدمرين على غير العادة..

اشترك نيد في الحديث قائلًا: حسنًا، ماذا يعني هذا؟؟

أليكس: لا يعني شيئًا محددًا إلى الآن!!

قال كارل: حسنًا، فلنواصل السير.

جون: لا، بل سنفحص هذا المبنى.. إنه مبنى عسكري يمكننا أن نستفيد ببعض المعلومات الموجودة فيه.

ردَّ نيد: بحقك يا جون ما الذي سيكون موجود في ثكنة عسكرية مهجورة.. إنه مكان لنوم الضباط وليس مكانًا ذا أهمية..

جون: إذن لماذا لم يُدمَّر.. كجميع المباني المحيطة به.. هل تخطاه الانفجار ولم يرَه؟؟

ردَّ عليه كارل حانقًا: ولكن لا يوجد معنى للبحث هنا عن ماذا نبحث حتى؟؟

جون: عن أي شيء له قيمة.

ماير: أنا أرى أن نتابع السير..

جون: لا أنا مصمم على البحث في هذا المكان..

قال كارل وهو يتجه ناحية مدخل البناية الأولى وهو يقول:

– حسنًا، لك ما تريد ، سنبدأ بالمبنى الأول ثم...

قاطعه جون قائلًا: لا، بل سننقسم توفيرًا للوقت..

قالت كريستينا بذعر: هل ستتركوني وحدي هنا؟

جون: بالطبع لا..!!

ثم أكمل قائلًا: المبنى الأول، الطابق الأول لك يا كارل، والطابق الثاني لنيد، والمبنى الآخر، الطابق الأول لي والثاني لأليكس.. أما نيد وكريستينا ستبقيان هنا لجمع العينات المطلوبة..

ثم جال بعينيه حول المبنى.. ثم أشار لهم إلى جزء بارز من أطلال مبنى آخر مهدم وهو يقول في حزم:

– امكثوا هناك.. اجمعوا المطلوب منكم ونحن لن نتأخر..!

ثم أشار إلى من معه بمعنى تحركوا..

وبدأت رحلة البحث..

عن المجهول.. !!

*****

انشغلت كريستينا بجمع العينات المطلوبة من التربة، وبعض الصخور الصغيرة والحصى..

في حين وقف نيد على بعض خطوات منها شاهرًا سلاحه في وجه اللاشيء.. ويتحرك في قلق إلى أن سأل كريستينا بغتة:

– لقد تأخروا، سأتواصل معهم عبر اللاسلكي..

ضحكت كريستينا في محاولة منها لتخفيف توتر الموقف وهي تقول: لا تقلق سَيّد نيد، إنهم لم يقضوا بالداخل سوى عشر دقائق..

حاول نيد قول شيء.. لكن قاطعه صوت إطلاق رصاص يأتي من المبنى الثاني..

امتقع وجه كريستينا، وانكمشت على نفسها في خوف، في حين اندفع نيد بشجاعة نحو مصدر إطلاق الرصاص وهو يقول لها: ابقي هنا ولا تتحركي..

– لا لن أبقى هنا وحدي..

ثم حملت بندقيتها، وركضت خلفه لتلحق به نحو مصدر الصوت..

كان مصدر الصوت يأتي من الطابق الثاني للمبنى الثاني.. كان نيد وكريستينا على بُعد 20 متر من أول مبنى.. وعلى بُعد 25 متر من المبنى الثاني..

وفي طريقهما وجدا جون ومايز خارجين من المبنى الأول.. وعلامات الدهشة والخوف تعلو وجيهما..

في حين قال جون لهما: أتبعاني!!

لم يكونا منتظرين أوامره بل إنهما بالفعل انطلقا إلى حيث المبنى الثاني وجون يحاول أن يتواصل باللاسلكي مع من في المبنى:

كارل، أليكس هل يسمعني أحدكما؟؟ ما سبب صوت إطلاق الرصاص هل أنتما بخير؟؟

جاوبه صمتٌ مطبق تمامًا من الاثنين مما زاد من قلقه..

دخلوا المبنى وصعدوا أول طابق وهم شاهرون أسلحتهم فوجدوه يتكون من عنبر كبير به عشرة أسِرّة على شكل طوابق..

والمكان خالٍ، وبه مصدر إضاءة بسيط..

أشار لهم جون بأن يواصلوا التقدم خلفه فصعدوا إلى السلالم المؤدية إلى الدور الثاني من المبنى وأثناء صعودهم فجأة وجدوا أليكس أمامهم وهو ممتقع الوجه وزائغ العينين بشدة..

مظهره جعل قلوبهم ترتعد؛ فقال له جون بذعر: ماذا حدث؟؟ وأين كارل؟؟

لم يكن أليكس رجلًا عسكريًّا كجون وكارل.. بل هو عالم.. يؤمن بالسلام ولم يتخيّل يومًا أنه سوف يحمل سلاحًا حقيقيًّا..

فبمجرد رؤية رفاقة وسؤالهم عن كارل..

فلم يتمالك نفسه وانفجر في البكاء.. هو لم يكن مقاتلًا يومًا ما..

أزاحه جون من طريقه، وصعد السلالم سريعًا إلى الطابق الثاني..

صعد فوجد ممرًا طويلًا.. وينتهي بغرفة مغلقة.. بينما على يساره على بُعد عدة أمتار توجد غرفة أخرى لكن بابها مفتوح..

أشهر سلاحه وتقدَّم نحو الغرفة التي على يساره وهو ينادي على كارل بصوت هادئ..

أخذ يكرر نداءه عدة مرات حتى دخل الغرفة ووجدها خالية..

خرج منها وأكمل سيره في الممر متجهًا إلى الغرفة الأخيرة..

في هذه اللحظات وصل نيد الذي عاجله جون سائلًا:

– أين أليكس وسمانثا؟؟

– إنهما بالأسفل لا تقلق، فلنرَ ما أخاف هذا الأحمق ولنجد كارل..

كان صوتهما منخفضًا..

تقدَّم جون أمام نيد بحذرٍ واتجه إلى الغرفة الثانية، ومدَّ يده إلى مقبض بابها ثم أداره..

كان النور مضاءً بهذه الغرفة، وبها العديد من الخزانات الحديدية الطويلة..

قال نيد وهو يتقدم إلى داخل الغرفة ويتوغل فيها:

يبدو أنها غرفة تخزين من نوعٍ ما هناك خزانات ومرقمة بأرقام، ثم...

قطع حديثه وهو ينتفض ويتراجع إلى الوراء وهو يقول: تبًّا.. ما هذا؟؟ أي عبث شيطاني يحدث هنا؟؟

ثم تنحى جانبًا ليفرغ ما بجوفه.. امتعض جون من رد فعل نيد.. هو كرجل عسكري يتعجب من أن يكون هناك رجال بمثل تلك ردود الأفعال..

الرجل يجب أن يكون قاسيًا متبلد المشاعر والأحاسيس وليترك المشاعر الرقيقة تلك إلى النساء..

لم يحاول جون أن يخفي امتعاضه.. ولم ينظر إلى نيد الذي مازال يفرغ ما بجوفه، وتقدَّم ناحية الشيء الذي رآه نيد..

نظر إلى المكان الذي كان ينظر فيه الأخير.. ثم ارتد مصعوقًا للخلف من هول ما رأى.. ثم رفع سلاحه عاليًا وهو يدور حول نفسه صارخًا بثورة: من هنا؟؟ من فعل هذا؟

ثم توقف عن الدوران وأعاد النظر إلى الركن الذي كان ينظر إليه..

وأمعن في النظر جيدًا..

كان كارل ملقى على الأرض بوضعية غريبة.. ممددًا على ظهره في حين تأخذ قدمه اليمنى مسارًا معاكسًا لطبيعتها وكأنها كُسِرَت كسرًا مضاعفًا..

ملابس ممزقة، وكذلك يده اليمنى مقطوعة وبها خنجره..

وكانت الجثة بدون رأس.. لقد اجتثت رأسه من جذورها تمامًا، بدون مبالغة..

ووجد أيضًا أجزاء كبيرة من جثة كارل مختفية.. وكأنها مقضومة بفعل فك حيوان مفترس .

كذلك وجد سلاحة الآلي بجواره، ورأى أيضًا العديد من المقذوفات الفارغة، يبدو أن المسكين قاوم للحظة الأخيرة..

في هذه اللحظات وصلت كريستينا بدورها، وقالت وهي تتقدَّم ناحية الرجلين: مالذي دهاكما؟؟ وأين كارل؟؟ لقد...

قطعت حديثها بغتة عندما وقعت عيناها على جثة كارل..

لم تحتمل المشهد..

فارتمت على الأرض فاقدة الوعي، في حين أمسك نيد بكتفي جون وهو يقول له:

– علينا مغادرة هذا المكان الآن.. بل علينا مغادرة أوكرانيا كلها..

أومأ جون برأسه ونظره معلق بجثة كارل الممزقة غير مصدق لما رآه..

فقال لنيد: حسنًا، لنغادر المكان أمّن ظهري، وأنا سأحمل الطبيبة ولنغادر المكان سريعًا..

نزلوا جميعًا من المبنى بسرعة.. وكأن كل شياطين الأرض تطاردهم..

في طريق عودتهم إلى المعسكر لم يتبادلوا كلمة واحدة من أثر الصدمة.. لقد مات زميلهم بطريقة بشعة وهم أيضًا معرضون لذلك..

لم يتأثروا بما حدث لزميلهم بقدر خوفهم من أن ينالوا نفس المصير البشع..

لا أحد في هذه الدنيا يريد أن يموت بعيدًا عن موطنه بآلاف الكيلومترات.. في مدينة أشباح كتلك.

وينتهي به المطاف ممزقًا شر تمزيق..

وصلوا إلى معسكرهم، وصادف وصولهم.. وصول الفريق الأزرق..

الذين بمجرد أن رآهم جاك يعودون إلى قواعدهم غير سالمين.. ناقصين فردًا.. واخر مصاب بانهيار عصبي ولا يتوقف عن البكاء.. والطبيبة الوحيدة بينهم فاقدة للوعي..

ركض اليهم وهو يقول لجون بعصبية شديدة: ماذا حدث؟؟

أين كارل؟ لماذا لم يعد معكم؟؟

لم يرد عليه جون واكتفى بأن أطرق رأسه إلى الأرض ثم وضع كريستينا برفق على الأرض وجلس بجاورها أرضًا..

نظر جون إلى نيد وقال له: حسنًا، قل لي ماذا حدث؟ هل أصيب كارل بمكروه؟

في هذه اللحظة كان كل أعضاء البعثة ملتفين حولهم ليفهموا ماذا حدث، وأين زميلهم..

قصَّ عليه جون كل ماحدث منذ وصولهم للثكنى العسكرية وإصراره على تفتيشها وافتراقهم.. ثم سماعهم دوي الرصاصات..

حكى كل شيء بدون أن يفوّت أي معلومة..

كانت صدمة للجميع.. مصحوبة بحالة من الفزع.. والرغبة في الفرار من مصير أسود..

كانت أميلي أول من عبَّرت عن رغبتها قائلة بصوت مبحوحٍ من أثر البكاء:

– كيف سنعود أدراجنا والطيار الوحيد بيننا قد قُتِل..؟؟ ماذا سنفعل؟؟

سمانثا: سنطلب المساعدة من السوفييت.. بالطبع..

ردَّ عليها ماير قائلًا: حسنًا، ماذا إن كان السوفييت هم من فعلوا هذا بكارل لسبب أو لآخر..؟

ردَّ عليه مارك قائلًا: حسنًا، ولماذا لم يقتلوا الخمسة الباقين أيضًا؟؟

ولماذا لا يحاولون قتلنا الآن؟!

لم يجد أحدٌ ردًّا منطقيًّا.. حاول جاك السيطرة على الموقف فقال:

– حسنًا، نحن هنا وحدة واحدة، ولدينا أسلحة وذخيرة.. سنحاول الاتصال بالسُّلطات السوفييتية.. فإذا كان غرضهم التعجيل بمغادرتنا لأوكرانيا.. فسيقدمون لنا كل ماهو ممكن لتسريع عملية مغادرتنا.. وإذا لم يكن السوفييت مسئولين عن هذا.. أيضًا سينفذون مطلبنا بالخروج..

ولن يرفضوا طلبنا.. خصوصًا أننا لم نصل إلى شيء ذي قيمة..

كان يتكلم من منطلق حدسه الاستخباراتي فقط.. وكم كان يتمنى وقتها في قرارة نفسه.. أن يكون كلامه صحيحًا.

ثم عاد ليقطع سيل أفكاره وهو يقول بلهجة آمرة: حسنًا.. سنجلس جميعنا بخيمة الكبيرة لن نتفرق من بعد الآن..

جون، أنت وإي جي سترابضان أمام الخيمة.. أخرجا كل القنابل التي معكما.. وأنت يا نيد.. اذهب إلى الطائرة، وحاول التواصل مع كييف لإخراجنا من هنا..

انطلق الجميع لتنفيذ أوامره.. في حين أخذ يسير متفقدًا محيط المعسكر والأحراش المحيطة به..

حتى جاءه نيد بوجه أصفر ممتقع وعين زائغة.. انزعج جاك من مظهره فقال له:

– ماذا هناك؟ هل اللاسلكي معطل؟؟

ردَّ عليه نيد بصوت مرتجف: لا المفتاح الخاص باللاسلكي ليس موجودًا به.. وكذلك مفتاح تشغيل الطائرة..

تغيرت كل ملامح جاك إلى الانزعاج وهو يقول في غضبٍ شديدٍ: ماذا يعني هذا؟؟ أين مفتاح اللاسلكي؟؟ وأين مفتاح تشغيل الطائرة.. ابحث عنها في الطائرة وفي أغراض كارل التي تركها هنا...

مشي نيد من أمامه وهو منكس الرأس ليبحث عن مفتاح تشغيل اللاسلكي، وعن مفتاح تشغيل الطائرة..

وبعدها بلحظات أتى جون وقال لجالك: أخرجنا قنبلتي دخان وأربع قنابل يدوية ورشاشًا متوسطًا طراز mg33 هذا كل ما لدينا.. فالأماكن السرية في صناديق الأجهزة لا تستطيع أن تحمل سوى الأسلحة الخفيفة مع بعض الذخيرة..

لاحظ جون شرود جاك، فقال له بحذر: ماذا هناك؟؟

- كارثة يا جون.. !

- ماذا حدث؟

- مفتاح تشغيل اللاسلكي، وكذلك مفتاح تشغيل الطائرة غير موجودين..

شعر جون وكأن كل برودة القطب الشمالي تجتاح جسده وهو يقول بذعرٍ شديدٍ:

- بدون وسيلة للعودة، أو اللاسلكي، لن نستطيع إحضار المساعدة.. نحن معزولون هنا تمامًا في هذه المدينة..

شعر جاك بغصة في حلقة وبمرارة شديدة: لا ارف كيف وضعنا انفسنا في هذا المأزق..

ثم نظر إلى جون في غضب، ثم أمسك بتلابيبه وهو يقول: أنت السبب.. لقد قادك السوفييت لكمين محكم.. وقد سقطت فيه كالغر الساذج.

أزاح جون يد جاك الممسكة بملابسه وهو يقول:

- أخفِض صوتك.. السوفييت لم يفعلوا شيئًا.. أنت لم ترَ جثة كارل يا جاك..

إنها ممزقة شر تمزيق ومأكول منها أجزاء.. أضف أن وقت سماعنا لصوت الرصاص ومحاولتنا نجدة كارل لم تتعدَ الثلاث دقائق.. ولم يغادر أو يدخل المبنى أحد غيرنا..

عقد جاك حاجبيه وهو يقول بسخرية غاضبة: إذن فهو شيطان هارب من الجحيم قرر معاقبة كارل لأنه اقتحم وكره..

رد عليه جون بسخرية امتزجت بصرامة قائلًا: من الممكن فعلًا أن يكون شيطانًا.. نحن في نفس الجبهة يا جاك وما سيصيبكم بالتأكيد سيصيبني..

نظر جاك حوله؛ فوجد ماير وإي جي أمام الخيمة الكبيرة في وضع الحراسة، فأشار لهما أن يأتيا إليه وانتظر حتى أتيا وبدأ كلامه قائلًا: حسنًا لم يبقَ من المقاتلين سوانا، نحن الموجودون هنا ومايكل.. يجب أن نحتفظ برباط جأشنا..

معنا العينات وسنكتفي بما معنا.. ولتنصبّ كل جهودنا من الآنن على محاولة الخروج من هذه المدينة..

وافقه الجميع بإيماءات من رؤوسهم فتابع هو: قوموا بتوزيع ذخيرة إضافية على كل الأفراد..

ثلاثة أفراد يقومون بالحراسة من الخارج، وواحد آخر من داخل الخيمة.. لن نسمح أن ينال منّا من أيا كان سوفييت أو.. غيرهم.. مفهوم؟؟

رَدّوا عليه جميعًا بكلمة مفهوم.. ما عدا جون الذي كان كل تركيزه منصبًا في هذه اللحظة على كيفية الخروج من هذه المدينة..

مدينة الأشباح.. !

* * *



الفصل الثالث

الأشباح

5 مايو 1986م

"عادت الأصوات هذه المرة أكثر قوة وقربًا من معسكرنا.. جميعنا نائمون في خيمة واحدة، هناك ضابط واحد داخل الخيمة.. وثلاثة خارجها.. لم يأتنا أحدٌ من الخارج.. ولم تكن لدينا شجاعة الخروج من الخيمة.. لا نستطيع النوم.. أصوات الصرير الحاد تحطم أعصابنا.. وتلك الهمهمات الغاضبة وكأنها قادمة من أعماق الجحيم.. لتخبرنا أن مكاننا محجوزٌ هناك بجانب أشر الأباليس.. نحن محاصرون.. ومعزولون تمامًا.. بدأت أشعر أننا لن ننجوا من هذا المأزق.. ولن نغادر تلك المدينة أبدًا.. وعمّا قريب، سننضم لأشباحها!"

*****

7 مايو 1986م

الساعة 9:45 صباحًا

"لن نستطيع مغادرة تشيرنوبيل بالطائرة بسبب عدم وجود كارل.. كارل هو الوحيد الطيَّار بيننا.. حتى العسكريون الذين معنا لا يجيدون الإقلاع بالطائرة ولا الطيران..

قررنا جميعنا، الذهاب حيث قُتِلَ كارل؛ لأخذ المفاتيح مفتاح تشغيل اللاسلكي ، وكذلك مفتاح تشغيل الطائرة..

*****

الساعة 11:00

"تحركنا جميعًا الإحدى عشر فردًا إلى الثكنة العسكرية التي قُتِل بها كارل.. أول مرة حكى لي جون عن البشاعة التي وجد عليها جثة كارل، كنت أظنه يبالغ، أو أن صدمة فقدان أحدنا جعلته لا يستطيع تمييز الأمور بشكلٍ جيّد.. لم أتمالك أعصابي.. وتقيأت بمجرد رؤيتي لجثة كارل التي بدأت علامات التحلل تظهر عليها.. الأمر مقزز؛ لقد مات المسكين بطريقة بشعة.. استطاع كلٌّ من جاك ومايز استخلاص مفتاحي تشغيل اللاسلكي والطائرة من بقايا جثة كارل المسكين.

*****

الساعة 11:50

" عدنا إلى معسكرنا في سلام ، حاول جاك وجون، استخدام اللاسلكي.. لكن بلا فائدة.. الاتصالات اللاسلكية كلها معطَّلة لا نستطيع التواصل مع أي أحد من خارج تشيرنوبيل..

لا يوجد بيننا من يستطيع قيادة الطائرة.. لقد تم عزلنا تمامًا.. وننتظر الموت بين لحظة وأخرى".

*****

9 مايو 1986 م

"الأصوات تزداد حدة وتنتشر بغرابه شديدة.. أنا أقسم إن الأصوات الآن تنتشر في جيمع أنحاء تشيرنوبيل، الجميع فقدوا الأمل في النجاة.. المعنويات تنهار سريعًا".

*****

10 مايو 1986 م

" لدينا القليل من الطعام ، والكثير من الماء"

*****

11 مايو 1986 م

"لقد رأيت شيئًا.. أقسم بالله إني رأيته.. أيًّا كان؛ فهو لم يكن بشريًّا أبدًا.. كنت بالخارج أثناء فترة تبديل الحراسة، وكنت وحدي لم يرَه أحدٌ غيري.. نظرت إليه من مسافة معقولة.. صحيح أن زاوية الرؤية كانت جيدة لدي إلى حدٍّ ما.. ولكنه كان يتحرك بسرعة كبيرة.. كان يسير على قدمين مثل البشر.. ولكنه ليس بانتصابة كاملة مثلنا نحن البشر.. أقسم بحياتي إنه ليس بشريًّا.. لن يصدقني أحد"

(انتهت مذكرات إيميلي سنودون عند هذا اليوم، ولم تكتب بعده أبدًا)

*****

آه يا صديقي.. هذا آخر ما دوَّنَتْه "إيميلي سنودون" في مذكرتها التي ظلت حبيسة الأدراج لعقدين من الزمان قبل أن تخرج إلى النور.. يمكن أن تكون تلك المذكرات قد سُرِّبَت عن عمد..

حتى ينتبه الناس لما يحاول الروس فعله الآن في أوكرانيا..

أعلم أن خيالك قد أكمل بعضَ الخيوط الناقصة.. لكني أعلم أيضًا أنك تتحرق شوقًا لتعرف ماذا حدث لإيميلي بعد تاريخ 11 مايو، وماذا حدث للبعثة المرافقة لها بعد هذا اليوم.. لا أحد يعلم، أو ربما هناك من يعلم ماذا حدث.. وينتظر الوقت المناسب لإخراجه إلى النور.. لكن بالنسبة لي أنا شخصيًّا.. لا أود أن أعرف ماذا حدث لها أو لتلك البعثة.. حتى إني لا أودّ أن أتخيل ما حدث؛ لأني إن تخيلت ما حدثَ معهم فسيكفيني أن ألخِّص لك

خيالاتي في جملة واحدة هي: "لقد افتتح الجحيم فرعًا جديدًا في أوكرانيا يا عزيزي"

بالطبع إخفاء الحقيقة، هو جزء لا يتأصل من نظرية المؤامرة التي طالما دار البشر حول فلكها..

فمن يؤمن بنظرية المؤامرة فهو أحمق.. ومن لا يؤمن بها فهو غبي..

إذن يا صديقي، في الحالتين ستعيش أحمق وتموت مختنقًا بغبائكّ؛ فلا أحد يحارب طواحين الهواء وخرج من حربه منتصرًا..

صحيح يا صديقي، لقد نسيت أن أذكر لك جزءًا صغيرًا عن مدينة تشيرنوبيل.. قد تعتقد أنها خرافات لكن لا بأس.. ستساعدك في تخيُّل ما وصلت إليه الأمور.. رغم أن كل ما سوف أذكره لك، موثَّقٌ بصورٍ وببلاغات رسمية في جميع مراكز شرطة تشيرنوبيل.. كذلك هناك شهادة ضباط شرطة وكذلك بعض العاملين، عن حوادث غريبة كانت تحدث قبل انفجار المفاعل بحوالي أسبوعين..

فلقد اشتكى بعض سكان مدينة تشيرنوبيل المنكوبة.،من تلقيهم اتصالات هاتفية.. بمجرد ردك على إحدى تلك المكالمات لن يرد عليك أحدٌ من الطرف الآخر، ولكنك ستسمع صوتًا..

رائع، أنت عبقري.. كنت متأكدًا أن خيالك هو من سيرسم القصة كاملة.. أجل كان سكان تشيرنوبيل يسمعون نفس الأصوات التي كانت تسمعها إيميلي ورفاقها (صرير حاد–همهمات غاضبة).

وأحيانًا صوت صراخ مرعب..

كذلك أيضًا اشتكى بعض المسافرين من رؤية أشباح..!!

أجل أشباح تحوم حول المدينة ليلًا ذات لونٍ أخضر..!

لا تتعجب مازال القادم أغرب..

فهناك أيضًا من حلم بكوابيس مزعجة بها أناس عميان يتحركون بدون نظام.. ويأكلون كل ما تقع أيديهم عليه: بشر ، حيوان ، نبات.. كل شيء..

وبعضهم حلم بكائنات شبيهة بالذئاب تطرق أبوابهم ليلًا فيفتحون لها.. فيستيقظون من أحلامهم على الفور..

استعد يا صديقي لما هو قادم.. ولا تتهمني بالجنون أو الخرف.. أنا فقط أوضِّح لك الأمور كلها حتى يستطيع خيالك أن يحكم نسج الخيوط ببعضها البعض..

هناك بعض العاملين بالمفاعل النووي كانوا يرون ليلًا، طيرًا كبيرًا.. من تلك الأنواعِ التي انقرضت من العصر الجوراسي في زمن الديناصورات..

لكن أكثر ما كان يلفت أنظارهم إليه هو عينيه.. فعيناه مشتعلتان بلون أحمر كاللهب أو كالدم.. وكان يحوم حول المفاعل قبل أيام من الكارثة..

أجل.. أعلم أن الأمر عسير التصديق.. لكن هكذا المؤامرات دائمًا.. كلما كبر حجمها.. كلما صعب تصديقها..

وكذلك أود أن أعتذر لك عن إثارتي لفضولك.. أنا أعلم أنك تريد أن تعرف ماذا حدث لتلك البعثة.. ومن الذي قتلَ كارل، ولماذا لم يكتب أي شيء في المذكرات بعد يوم 11 مايو.. وكيف لم يصلنا أيٌّ خبر عن تلك البعثة.. كيف حوَّلت حكومتنا، أعضاء تلك البعثة إلى أشباح غير موجودة في الأوراق الرسمية، وكيف تمكنت أجهزتنا الأمنية من إسكات أهالي الضحايا عن اختفاء ذويهم..

حسنًا، لقد أوصلتك إلى خط البداية، وعليك أن تكمل المسيرة وحدك.. فقط أطلِق لخيالك العنان، خيالك الآن هو ما سيجعلك ترى الأمور بشكل صحيح.. فقط تخيل.

الآن يا صديقي قد أعطيتُك كل مفاتيح اللغز.. أمامك الأبواب مغلقة.. أقتحمها بعقلك فقط..

وارو لنا حكايتك..!!

حكاية أشباح تشيرنوبيل..!!

*****

"لقد رأيت شيئًا.. أقسم بحياتي إني رأيته.. أيًّا كان فهو لم يكن أبدًا بشريًّا.. أقسم لك بذلك.. لن يصدقني أحدٌ"

(من مذكرات إيميلي سنودون الأخيرة بتاريخ 11 مايو 1986 م)

اشرقت شمس هذا اليوم.. ونحن لا نعلم ماذا يخبئ لنا، وهل سنظل على قيد الحياة أم لا..

فردَتْ إيميلي ذراعيها مستقبلة بعضَ هواء الصباح الذي يذكِّرها بموطنها.. فقد خرجت من الخيمة أثناء نوبة تبديل الحراسة لتستنشق بعضًا من الهواء النقي لعله يخفف من توترها..

ثم فجأة لمحت هذا الشيء.. إنه يتحرك بسرعة كبيرة خلال الأحراش القريبة من المعسكر..

هذا الشيء ليس بشريًّا.. هكذا قالت إيميلي لنفسها.. تراجعت خطوات قليلة إلى الخلف..

ثم اندفعت تركض إلى داخل الخيمة.. كان أغلبهم قد بدأ في الاستيقاظ، والقليل منهم مازال نائمًا، دخلت إيميلي الخيمة ثم صرخت بكل ما تخزنه نفسها من انفاعالات: "لقد رأيت شيئًا بالخارج يتحرك.. أقسم إنه ليس بشريًّا."

كان أول من امتصَّ الصدمة هو جاك الذي توجَّه إليها وربت على كتفها محاولًا تهدئتها:

– اهدئي يا إميلي، ربما ما رأيتِه كان أحد الحيوانات الناجية من الكارثة..؟

ابتعدت إيميلي عنه وهي تقول بعنادٍ: أنسيت تخصصي يا هذا.. أنا عالمة أحياء.. وهذا الكائن الذي لمحته بالخارِج ليس حيوانًا.. لا يوجد حيوان يستطيع المشي منتصبًا..!!

فوجئ الجميع من طريقة كلامها؛ فتدخلت الطبيبة كريستينا في الحوار قائلة: نعم جميعا رأينا جثة كارل.. من فعل هذا بكارل يمكن أن يكون هذا الكائن الغريب..

قال ماير بعصبية شديدة: أتقولون أن هناك كائنًا غريبًا لم يكتشفه البشر بعد يجول بالخارج..؟؟ أهذا ما تريدين قوله أيتها الطبيبة.؟

جون: دعونا لا نستبق الأحداث..

ثم قال موجهًا حديثه لإيميلي قائلًا: أين رأيتِ هذا..

قطع كلامه وهو لا يعرف بماذا يصف ما رأته إيميلي؛ فقال مترددًا بعصبية: أين رأيتِ هذا الشيء؟؟

أجابته الأخيرة بصوت مرتجف: ناحية الأحراش المقابلة للمعسكر مباشرة.

فاستدار جون إلى القناص إي جي قائلًا له بصرامة: إي جي، اخرج وراقب المكان بمنظار بندقيتك..

اندفع القناص لتنفيذ الأمر..

في حين استدار إلى إيميلي مرة أخرى محاولًا تهدئة الموقف قبل أن تخرج الأمور عن السيطرة وتعم الفوضى: أين رأيتِ هذا الكائن؟ أين انقطعت رؤيتك له بمعنى أصح؟؟

قالت إيميلي وقد بدأت تشعر بشعور أفضل نتيجة رؤيتها اهتمام البعض بكلامها وعدم تكذيبها: رأيتُه يتجه إلى داخل الأحراش..

جون: حسنا يا ماير اذهب أنت ونيد وخذ معك القنابل وابحثوا في محيط المعسكر عن أي شيء مريب واطلقوا النار على أي شيء يتحرك..

تحركوا على الفور لتنفيذ الأوامر..

في حين ارتمت إيميلي على الأرض قائلة: صدقوني.. الأمر هنا مريب.. منذ وصولنا حتى اكتشافنا لجثة كارل.. كأن هناك أحدًا يسوقونا سوقًا إلى ما نحن فيه الآن..

تعاطف معها مارك؛ فجلس بجوارها وهو يقول: لا تقلقي نحن معًا الآن.. سنحاول الوصول لحلٍّ يخرجنا من هذا المكان..

التفت جاك إلى سمانثا وهو يقول لها محاولًا تغيير دفة الحديث وإشراك أكبر كمّ ممكن من الناس فيه قائلًا:

– وأنتِ يا سيدة سمانثا بصفتك عالمة في الاتصالات، هل يمكنك أن تشرحي لنا بدقة سبب تعطُّل جهاز اللاسلكي الخاص بالطائرة.. وكذلك ضعف دوائر اللاسلكي الداخلية التي تؤمِّن لنا التواصل فيما بيننا لدائرة قطرها 8 كيلو مترًا على الأقل..

كانت سمانثا مستيقظة لتوِّها فاعتدلت في مجلسها ثم ارتدت نظارتها الطبية وكأنها تساعدها على الحديث قائلة بعد أن تنحنحت:

– جهاز اللاسلكي الخاص بالطائرة سليمٌ، ولا يوجد به أي عطب ظاهر.. وكذلك دوائرنا.. أنا أرجّح أن هناك مصدر تشويش خارجيًّا يعيق انتقال الإشارة..

ردَّ عليها جون بقلق: أيمكن أن يكون السوفييت؟؟

قاطعه جاك قائلًا: دعنا لا نستبق الأحداث أرجوك.. السوفييت إذا كانوا لا يريدون مننا المجيء إلى هنا، ببساطة شديدة كانوا سيمنعون دخولنا إلى قلب

مدينتهم.. أو حتى قتلنا.. هذا إذا افترضنا أنهم قتلوا كارل.. لذلك دعونا لا نستبق الأحداث..

ثم قال لجون محاولًا إخراجه من دفة الحديث وإخراجه من المكان كله: أرجوك، أعد الرشاش المتوسط.. أخرجه من مكانه ولقمه بالذخيرة؛ فيجب أن نستعد لكل الاحتمالات..

قال له جون: حسنًا..

لم يحاول جون أن يخفي ضيقه من الأمر، لكنه خرج لينفّذ ما طلبه منه جاك..

في حين قال أليكس: بصفتي مهندس نووي أود أن أطرح فرضية..

صمت الجميع وكأنه إذن ببدء طرحه لفرضيته فقال أليكس:

– لقد مضى على الانفجار ما يقرب من شهر.. فكما تعلمون الانفجار حدث في منتصف شهر أبريل، بينما نحن الآن تقريبًا في منتصف مايو، وكما نعلم، لم يقم السوفييت بأي محاولة لكبح جماح التسريب النووي..

فيمكن في خلال هذه الفترة أن تكون تلك الإشعاعات سبَّبت تحويرًا جينيًّا لدى بعض الكائنات العادية..

فيمكن أن يكون ما رأته إيميلي ذئبًا عاديًّا أو حتى كلبًا وبسبب تعرُّضه للإشعاعات النووية تحوَّر إلى هذا الكائن..

نظر جاك إلى إيميلي قائلًا لها: أعتقد أنه دورك الآن، فأنت عالمة الأحياء بيننا..

نهضت إيميلي من مرقدها، ثم توسطت الخيمة وكأنها أستاذة جامعية تهم بشرح محاضرة لطلّابها.. ثم قالت في هدوء بلهجة غريبة:

- أولًا.. لا يمكن لأي كائن حيّ أن يتحور جينيًّا بسبب تعرُّضه لإشعاعات نووية.. الإشعاعات توثر على الأجيال التالية للجيل الذي تعرَّض للإشعاع..

بمعنى أن كل الكائنات الموجودة في تشيرنوبيل وتعرضت لتسرُّب الإشعاعات النووية ولم تمت جراءه.. كل اجيالها التاليه ستتحور جينيًّا.. مثلما حدث في هيورشيما ونجازاكي..

صرخ أليكس وقد بدأ يفقد أعصابه: إذا ما هذا الكائن الذي رأته إيميلي في الخارج؟؟

ومن الذي قتل كارل؟؟

أسقط في يد إميلي ولم تمتلك جوابًا، فاكتفت بالصمت؛ فهي لم تجد ما تدافع به عن وجهة نظرها ورؤيتها لهذا الكائن..

فقال جاك محاولًا تخفيف حِدّة التوتر: الجدال لن يوصلنا إلى شيء الآن..

الأفضل أن نصبر قليلًا قبل أن نضع أيَّ فرضيات تؤثر على أحكامنا فيما بعد ثم أن هناك أيضًا احتمالًا بوجود خدعة ما يتورط بها السوفييت يقومون بها من أجل إخافتنا، وجعلنا نغادر المدينة.. هذا احتمال وارد جدًّا وهناك أيضًا...!!

وقبل أن يكمل حديثه..

قاطعه صوت انفجار عنيف ثم إطلاق نار كثيف..

سادت حالة من الارتباك والهرج والمرج وهم ينظرون إلى بعضهم البعض، غير مصدقين صوت إطلاق الرصاص بعد أن أمضوا أكثر من أسبوع في هدوء تام.. ماعدا الصوت الليلي الذي كان يطاردهم دائمًا..

حيث بقيت سمانثا وكريستين بداخل الخيمة ترتجفان في وجل بينما هرع الآخرون بعد أن التقط كلٌّ منهم أيَّ سلاح يجدونه أمامهم إلى خارج الخيمة ليروا ماذا يحدث بينما تتزايد وتتعالى أصوات إطلاق الرصاص..

*****

كان جاك أول من خرج من الخيمة.. وبمجرد خروجه تسمَّر مكانه مندهشًا لما رأى..

ثم رفع سلاحه الرشاش أمامه ثم صوَّبه.. وبدأ يطلق النار على شكل رشقات متتابعة وهو يتقدم إلى الأمام ناحية السلك المحيط بالمعسكر..

هذا المشهد كان كفيلًا بزيادة ذعر المدنيين إلى أقصى حد..

حيث خرج أليكس ثم مارك وإيميلي وراء بعضهم وقد هالهم ما يرون..

الجهة المقابلة تمامًا لمدخل المعسكر تحوي غابة صغيرة بها بعض أشجار البلوط والزان، وبعض الحشائش الطويلة.. تفصل هذه الغابة عن المعسكر مسافة تقدَّر بحوالي 50 متر..

من هذه الغابة الصغيرة خرج الشر..

أكثر من 7 كائنات.. يماثل وصفهم وصف إيميلي للكائن الذي رأته يركض منذ ساعات..

تكوينة الجسدي شبيه بالإنسان.. يمشي على اثنين فقط.. كثيف الشعر البني على جميع أنحاء الجسد..

لكن سرعته ليست كمثل سرعة الكائن التي رأته إيميلي..

كان جميع العسكريين يحاولون إطلاق النار على تلك الكائنات لإيقافها.. واشترك معهم بعض المدنيين..

في حين بقيت إيميلي متسمرة مكانها أمام مدخل الخيمة.. حتى انتزعها صوت جون من تخشُّبها وهو يقول لها بغضب امتزج بالخوف ليشكل مزيجًا عجيبًا من المشاعر الإنسانية:

– أطلقي النار.. دافعي عن حياتك أيتها الخرقاء.!!

كان يفصل بين تلك الكائنات والمخيَّم ما يقل عن 20 متر..

الجميع يحاول إصابة تلك الكائنات بالرصاص..

لكن هيهات.. كل طلقاتهم كانت تصيب تلك الكائنات بالفعل ثم ترتد عنهم بعنف.. وكأن أجسادهم مصنوعة من الفولاذ الصلد..

بدأت الكائنات تقترب أكثر والجميع يحاولون إيقافها بإطلاق النار عليها..

في حين صرخ جاك فجأة:

– لقد اقتربوا كفاية.. فجَّروا الألغام..

توقف عن إطلاق النار وتلفت حوله، كان الجميع منهمكين في محاولة صد تلك الكائنات وقد بدأوا يتراجعون للخلف مع عدم قدرتهم على صدِّهم واقترابهم من المعسكر أكثر وأكثر..

ثم صاح في أليكس: أليكس، أترى جهاز اللاسلكي الذي على يسارك؟

كان أليكس أقرب شخص إلى جهاز التفجير المسئول عن تفعيل الألغام الصغيرة المحيطة بالمعسكر..

لم يسمعه أليكس بوضوح وسط ضوضاء المعركة.. فأعاد جاك سؤاله على أليكس الذي أومأ برأسه إيجابًا..

فعاد جاك يصرخ قائلًا: هناك آلة تحكُّم عن بعد بجوار اللاسلكي بها زِرّان، اضغط الزر الأحمر سريعًا.. هيًّا لا يوجد لدينا وقت.

كان هذا زر تفعيل الألغام الصغيرة المحيطة بالمعسكر..

ركض أليكس إلى حيث جهاز اللاسلكي.. ثم فجأة قام أحد تلك الكائنات بالانقضاض عليه.. لم يأتِ من الذين يهاجمون من الأمام بل من جانب المخيم؛ حيث توجد منطقة منخفضة قليلًا من سطح الأرض تغطيها الأعشاب والنباتات..

"إذن هذا كمين.. هذه الكائنات لديها عقل تفكر به"

قالها مايكل وهو يركض نحو أليكس محاولًا تخليصه من هذا الكائن الذي كان يتلقى كل رصاصات مايكل وكأنها رذاذ مطر وليس معدنًا ساخنًا يحاول اختراق جسده..

جثم الكائن على أليكس وقد استغل ثقل جسده على هذا الأخير الذي وقع منه سلاحه وهو يحاول مقاومة هذا الكائن بكل قوته..

ونجح في دَفعه وإبعاده عنه وقام إلى جهاز التفجير ليضغط الزر..

وفجأة أصيب بطلقٍ ناريّ في ظهره.. وآخر في رأسه..

كان جاك يحاول إطلاق النار على الكائن المهاجم لأليكس لكن طلقاته أصابت أليكس بالخطأ.

سقط هذا الأخير منفجر الرأس وأجزاء من مخه ممزوج بعظام جمجمته تتهاوى تحته قبل أن يسقط..

لم يفت سقوطه الجميع.. لكنه لم يكن هناك وقت للحزن أو حتى الانفعال لفقدانك أحدهم.. إنها معركة إذا فقدت انتباهك للحظة.. في اللحظة التالية لها.. لن تفقد انتباهك فقط.. بل ستفقد حياتك كلها..

في هذه اللحظة قام إي جي بتوجيه بندقية القنص خاصته إلى رأس هذا الكائن وأطلق رصاصة.. اخترقت عين الكائن اليسرى لتصنع فجوة صغيرة مكان عينه وتخرج من مؤخرة رأسه صانعة فجوة مماثلة..

توقف الكائن وكأنه يحاول إدراك ما أصابه.. ثم أطلق عويلًا حادًا كان أشبه بصوت صفير.. أجل.. إنه نفس الصوت الذي حرمهم من النوم لليالٍ طويلة..

ثم توقف عويل الكائن وأيضًا توقفت الكائنات المهاجمة التي أصبحت تقريبًا داخل المعسكر.. وهم ينظرون إلى بني جنسهم الذي اخترقت الرصاصه رأسه..

فقرر مايكل استغلال توقُّف تلك الكائنات بدون حراك.. فصوَّب مدفعه إلى رأس الكائن ليجهز عليه؛ فقاطع تخطيطه صوت تكة معدنية خفيفة صادرة عن سلاحه الآلي معلنة عن فراغ الذخيرة وحاجته لمزيد من الغذاء..

لم يبالِ مايكل بهذا بل رمى سلاحه الآلي على الأرض واستل مسدسة الشخصي بسرعة من جرابه وصوَّبه ناحية الكائن ثم أطلق لطلقاته العنان من مسافة قريبة لا تتعدى الثلاثة أمتار..

نجحت 4 طلقات من أصل 10 في الوصول إلى رأس الكائن واختراقها، في حين ضلت الرصاصات الباقية، طريقها لتصيب الكائن في مواضع متعددة من جسده.. أطلق الكائن خوارًا عجيبًا كخوار ثور يحتضر.. ثم سقط..

لكن سقوطه تسبب في حدوث انفجار مكتوم وشرارات كهربائية ودخان كثيف أبيض اللون..

"تبًّا، لقد سقط على جهاز اللاسلكي وكذلك على المفجِّر "

قالها مايكل في فزع..

توقف صوت إطلاق الرصاص تمامًا بعد سقوط الكائن داخل المعسكر وتوقفت حركة الكائنات الذين أصبحوا داخل المعسكر وهم ينظرون إلى جثة الكائن الآخر..

ثم فجأة أطلق أحدهم زمجرة مخيفة كزمجرة حيوان مفترس، ثم تبعه ثانٍ وثالث حتى أصبح الوحوش الثمانية يرددون نفس الزمجرة.. وكأنه طقس جنائزي يقام، حاول مايكل استغلال الفرصة فانحنى أرضًا ليلتقط سلاح أليكس ثم يصوّبه إلى

أقرب الكائنات إليه وأطلق الرصاص.. شجَّعه قتله لأحد هذه الكائنات على مواصلة القتال بعد أن ظنَّ الجميع أن تلك الوحوش مُرسَلَة من الجحيم إليهم.

وكذلك شاركه كل زملائه شعوره؛ فعادوا وصوَّبوا أسلحتهم إلى تلك الكائنات وأطلقوا النيران عليها..

سقط أقرب الكائنات منهم على الأرض بعد إصابته بأكثر من 20 رصاصة في جميع أنحاء جسده ليسقط مطلِقًا خوارًا كالذي أطلقه صديقه الراحل..

هنا جنَّ جنون تلك الكائنات.. وأطلق أكبرهم حجمًا، عويلًا طويلًا، تردد صداه في جميع أنحاء المدينة بدون مبالغة..

وهو ينقضّ على مايكل بطريقة مفاجئة ثم ينشب أسنانه الحادة في رقبة هذا الأخير.. الذي صرخ محاولًا التملُّص من الكائن لكن بدون جدوى..

تكالب عليه اثنان آخران وهما يأكلونه حيًّا.. وبعد لحظات انفضوا عنه وقد أصبح جثة ممزقة بلا ملامح مأكول منها أجزاء كبيرة..

شهد الجميع مصرع أليكس ومصرع مايكل؛ فانهارت معنوياتهم تمامًا وبدأوا يتراجعون في تخبُّط الذي لم يلبث إلى أن يتحول إلى ركضٍ عنيفٍ.. ركضٌ دافعه الخوف من تلك الكائنات..

أصبح الجميع يركضون في حين صاح جاك وهو يطلق رصاصات سلاحه محاولًا تغطية انسحابهم العشوائي:

لنحاول الاختباء في تلك الأحراش المجاورة للمخيم!!

لم يسمعه أحدهم، ولكنهم ظلوا يركضون بلا أمل وتلك الكائنات تلاحقهم..

وأثناء الركض قام أحد تلك الكائنات بالانقضاض على سمانثا، ونجح في إيقاعها أرضًا، ثم غرس مخالبه في رقبتها، وقضم من وجهها قضمة كبيرة وهو يطلق صوت العويل كالذئب، التفت إي جي بعد أن سمع الصوت ثم توقف فجأة ودار بجسده دورة كاملة..

وصوَّب بندقيته نحو عين الكائن، وأطلق رصاصتين استقرت إحداهما في عينه اليسري والأخرى في منتصف جبهته..

وتابع الركض بعد أن تأخر عن الجميع للحظات قليلة..

وأثناء هروبهم من تلك الكائنات صرخ جاك بأقصى قوّته: ماير، هل لديك قنابل؟؟

– نعم، معي اثنتان؟؟

– حسنًا. توقف وارمِ واحدة.. الآن.. !!

لم يكذّب ماير خبرًا، بل دار بجسده بسرعة وهو يلتقط قنبلة من سترته وينزع فتيلها ثم يلقيها على تلك الكائنات ..

دوى الانفجار عنيفًا..

تتطاير البعض بعد أن دفعته موجة التفريغ الهوائي الناتجة عن انفجار القنبلة..

ومن لم يحدث له هذا توقف ليرى ماذا حدث..

العديد من الكائنات مستلقية على الأرض وتنزف بغزارة ولا تتحرك..

وهناك بعضٌ منها يتحرك وهو يشتعل..

تقدَّم جون خطوتين إلى الأمام في اتجاه الكائنات، وصوَّب سلاحه إليهم ثم أطلق النار إجهازًا على من بقي حيًّا..

تبعه الكل في فعلته دون تفكير.. ربما هو دافع الانتقام.. أو الخوف.. أو الغضب.. أو شهوة القتل لدى الإنسان التي تتعاظم عندما يكون في يده سلاح أو سلطة أو نفوذ.

أخذ الجميع يطلقون النيران في عشوائية، وبكل الاتجاهات، حتى همدت حركة كل الكائنات تقريبًا..

أخذوا يلتقطون أنفاسهم وهم ينظرون إلى بعضهم البعض غير مصدقين أنهم نجوا..

لكن عددهم تقلص إلى سبعة أفراد فقط.. ليس معهم ذخيرة تكفيهم ولا غذاء.. فقط بعض الماء..

سمعوا من بعيد من اتجاه المعسكر صوت عويل آخر..

فركضوا جميعًا بخوفٍ شديدٍ؛ هروبًا من دفعة جديدة من تلك الشياطين جاءت تكمل ما فشل في إتمامه أقرانها..

ركضوا جميعًا.. أخذوا يركضون بدون توقُّف.. لا يجرؤ أحد على الالتفات خلفه من الخوف..

حتى دخلوا بين الأحراش والحشائش الطويلة نسبيًّا التي بدت أنها تغطيهم وتعطيهم نوعًا من الأمان..

سقط الجميع أرضًا يحاولون التقاط أنفاسًا ظنوا أنهم سيفقدونها إلى الأبد دون أن يتبادلوا كلمة أو حتى نظرة..

فما رأوه من إثارة وخطر في الدقائق الماضية كفيلٌ بإحالتهم جميعًا إلى التقاعد..

من يرغب بالعيش بعد رؤية ذئب يمشي على قدمين ويودّ افتراسه..

وفجأة قام جاك من مكانه وهو يصرخ بجنون: ما تلك الأشياء اللعينة؟؟

إنها شياطين؟؟

ردَّ عليه جون: حسنًا.. شياطين أو مخلوقات من كون آخر هذا لا يهم الآن.. لقد فقدنا معسكرنا، وفقدنا المؤنة والذخيرة، وكذلك فقدنا أكثر من نصفنا.. ثم أطرق برأسه إلى الأرض وهو يقول بصوت باكٍ وبمرارة:

– وكذلك فقدنا وسيلة خروجنا الوحيدة من هذا الجحيم..

عند تذكُّر هذه النقطة.. أحسَّ الجميع كأن خنجرًا مسمومًا غُرِزَ في قلوبهم، كيف سيغادرون تشيرنوبيل..!

ترجمت كريستين تلك المخاوف بقولها: ماذا يعني هذا؟ هل سنظل هنا مع تلك الكائنات؟؟

ثم أخذت تبكي بحرقة شديدة..

إحساسك أن الموت قادمٌ وبأسوأ الطرق.. ولا توجد لديك حيلة سوى انتظاره، هذا الإحساس يساوي بالضبط إحساس الموت..

أي أنك ستموت قبل موتك لآلاف المرات..

نهض إي جي من مرقده وهو يحمل بندقيته ويشرأب بعنقه باتجاه المعسكر وهو يقول لاهثًا: يبدو أنه لم يتبعنا أحد من تلك الكائنات الشيطانية؟؟

كان جون مستلقيًا على ظهره، ولكنه نهض فجأة وهو يقول بصوت منخفض:

– حسنًا، من الأفضل إخفاض أصواتنا.. لابد من التفكير بهدوء في الأمر..؟ ما رأيك يا إيميلي؟؟ ماهو تصنفيك لتلك الكائنات باعتبارك عالمة الأحياء الوحيدة بيننا ما تلك الأشياء؟؟

نظرت إيميلي إليه نظرة عاجزة تمامًا وهي تقول بصوت مرتجف: تكوينها يشبه التكوين البشري، ولكنها ليست حيوانية تمامًا ولا بشرية تمامًا، إنها تجمع ما بين صفات الجنسين.

قال جون: حسنًا، أيمكن أن يكون هذا تأثير الإشعاعات النووية؟؟

ردَّ عليه جاك هذه المرة قائلًا بنفاد صبر: لا يا جون لقد ناقشنا تلك النقطة.. من المستحيل أن تؤثر الإشعاعات النووية في التركيبة الجينية للإنسان.. إنها فقط تقتله ومن لم يقتل أبناءه يصبحون مشوهين.. فقط مشوهين..

عقبت إيميلي على كلام جاك قائلة: نعم.. بمعنى أنك سترى أطفالًا مشوهين أاعين ناقصة أو حتى زائدة، بإصبع إضافي في أحد أطرافه.. ربما يولد طفل بلا أقدام مثلًا أو بلا أذنين..

لكن لا يوجد في هذه الدنيا إشعاع نووي مهما بلغت قوته أن يُوجِد مثل تلك الكائنات..

صمت الجميع بعد كلامها في حين عادت هي لتقول: بالإضافة أن تلك الكائنات تمتلك ذكاء بشريًّا.. ظهر هذا جليًّا في محاولة إيقاعنا في كمينها.. عندما هاجم الجميع من الأمام في حين ظهر أحدهم فجأة من داخل المعسكر ليقتل أليكس..

ولا توجد كائن حيوان قادر على عمل كمائن بتلك الطريقة العسكرية سوى الإنسان فقط..

نظر لها العسكريون بتعجُّب عندما شبهت الإنسان بالحيوان في حين قال مارك: لا أعتقد أن الأمور على ما يرام.. بقاؤنا هنا يمكن أن يعرِّضنا إلى خطر داهم..

ردَّ عليه إي جي بسخرية وهو يقول: حسنًا أيها العبقري لنذهب إلى منزلك إذا كان قريبًا من هنا؟؟

قالت إيميلي محاولة إنهاء جدال بلا معنى في هذا التوقيت وهي تقول:

– الأفضل أن نغادر تلك المدينة..!!

ردَّ عليهاماير وهو ينظر إلى إي جي قائلًا: انظر، يبدو أن لدينا عبقرية أخرى..

ثم سار باتجاهها ووقف أمامها وهو يقول لها: حسنًا.. سنعتبر أن ما قلتِه ليس دربًا من الهلوسة بسبب ما رأيتِه.. قولي لي.. كيف نغادر تلك المدينة الملعونة؟؟

– بأي طريقة يا سيد ماير حتى لو اضطررنا إلى السير على الأقدام..

ضحك ماير في سخرية بينما ابتسم إي جي وهمَّ بالتعقيب على كلامها فقاطعه جاك: اسمعوني جيدًا.. إيميلي محقة، يجب أن نغادر تلك المدينة حتى ولو سيرًا على الأقدام..

قال مارك في خوف: وماذا عن تلك الكائنات، ماذا سنفعل بها.. لا لا، الأفضل أن نبقى هنا.. لن أقبل بأن أموت بمخالب تلك الشياطين..

ردَّ عليه جون: إذن ابقَ هنا حتى تعثر عليك تلك الكائنات وتقيم حفل شواء بجثتك..

امتقع وجه مارك بعد تخيُّله لوصف جون؛ فلم يكن التخيل صعبًا عليه.. لقد رآه منذ قليل..

عاد جاك يقول ليحسم الجدال نهائيًّا:

– سنستريح قليلًا لنلتقط أنفاسنا ثم نغادر سيرًا على الأقدام..

قاطعه إي جي قائلًا بحِدة:

– لا تجعلوا الخوف يشلّ تفكيركم.. كيف سنغادر كارل هو الوحيد الذي لديه إحداثيات المنطقة.. نحن حتى لا نمتلك خريطة لمدينة تشيرنوبيل.. ليس معنا سوى خريطة صغيرة للمفاعل وبعض الطرق المحيطة به..

في هذه اللحظة، قام نيد من مرقده وهو يقول في حماسٍ: أنا معي خريطة لمدينة تشيرنوبيل كاملة وبكل ضواحيها..

انتعش الأمل فيهم لفترة وجاك يقول له في حماس: جيِّدجدًّا.. سترشدنا خريطتك لطريق خروجنا من هنا..

قال له جون: حسنًا يا نيد ما هي أقرب مدينة مأهولة من هنا؟؟

كان نيد يحمل حقيبة صغيرة على كتفه؛ لأنه كان مصابًا بداء في جهازه التنفسي كان يجبره دائمًا على حمل بخّاخ صغير يأخذ منه جرعات عندما تهاجمه نوبات ذلك الداء..

فقام نيد بخلع تلك الحقيبة، وأخرج منها ورقة صفراء كبيرة مطوية.. جلس على الأرض ثم وضعها أمامه وهو ينظر فيها بتركيز شديد.. وقد اقترب منه الجميع منتظرين أن يقول ما لديه.

وبعد فترة من الصمت لم تتجاوز الدقيقة، قال لهم نيد: حسنًا. حتى نستطيع الخروج من تشيرنوبيل، علينا السير داخل المدينة لمسافة 8 كيلومتر تقريبًا، بعدها نصل إلى الطريق السريع رقم 4 المؤدي إلى قرية سيناتشا..

ثم نظر إليهم وهو يقول ببطءٍ شديدٍ ليرى ردود أفعالهم على كلامه:

– وعلينا أيضًا السير لمسافة 25 كيلومتر بعد خروجنا من تشيرنوبيل..

ردَّ عليه مارك بحنق: إذن علينا السير لمسافة اكثر من 30 كيلومترًا ونحن لا ندري كم من تلك الكائنات سنواجه في طريق الخروج من هنا..

قال له ماير في هدوء غريب يتعارض مع طبيعته ويتعارض حتى مع طبيعة الموقف:

– هذا هو السبيل الوحيد للنجاة المتاح لدينا.. الاتصالات مقطوعة تمامًا بالعالم الخارجي.. ووسيلة المواصلات الوحيدة الموجودة لدينا قابعة هناك في معسكرنا، يحيط بها العشرات من تلك الشياطين..

وحتى إن وجدنا وسيلة للذهاب إلى طائرتنا.. من سيتمكن من التحليق بها؟ لا أحد.. هذا هو الخيار الوحيد المتاح لدينا الآن.. حسنًا أنا موافق..

تبعه عبارات التأييد من الجميع في حين قالت إيميلي: حسنًا، علينا الإسراع قبل أن ينفد الماء الذي في حوزتنا.. وكذلك قبل أن يتمكن منا الجوع..

وافقها الجميع في حين قال جاك: حسنًا يا إميلي بعد أقل من 20 دقيقة ستغرب الشمس..

ثم استدار ليقف مواجهًا للجميع وهو يقول:

– سنغادر تشيرنوبيل.. مع آخر خيط من خيوط الشمس، استعدوا جميعًا..!!

واستعدوا..

*****

الفصل الرابع

الخروج

سار البقية الباقية من أعضاء البعثة داخل مدينة تشيرنوبيل بعد حلول الظلام في مسيرة مكوَّنة من صفٍّ واحدٍ..

الجميع يشهرون أسلحتهم في تحفُّز.. العجيب أنهم لم يسمعوا أيَّ صوتٍ من الأصوات التي كانوا يسمعونها في مخيمهم.. وكأن تلك الأصوات كانت موجهة لهم فقط..

تحمل رسالة ما لهم هم فقط..

وليتهم استمعوا لها..

كان جاك ونيد في المقدمة ومعهما الخريطة ويتبعهما الجميع..

توقف نيد عند مفترق طرق به ميدان ثم أشار إلى شارع صغير أمامهم وهو يقول بصوت مرهق:

– هذا هو الشارع المؤدي إلى الطريق السريع، طوله حوالي ثلاثين مترًا.. سنقطعه في ثلاث دقائق على الأغلب بسرعة متوسطة ثم...

أسكتته إشارة صامتة من يد جاك.. وأشار له بالانبطاح ثم أمر الجميع بالانبطاح وهو يشرأب بعنقه لينظر إلى الشارع المؤدي إلى الطريق السريع..

ثم التفت إليهم، وأشار إلى جون وإي جي أن يأتوا إليه في مقدمة الصف.

وهمس قائلًا: أعتقد أن هناك حركة في الشارع..

حاولوا اختراق جنح الظلام بأعينهم.. لكنهم لم يجدوا شيئًا..

فقال جون: هذه الكائنات التي تشبه الذئاب تصدر جلبة أثناء تحرُّكها.. الشارع هادئ يا جاك لا توجد به حركة..

ثم التفت إلى إي جي قائلًا: ما رأيك؟؟

رفع إي جي بندقيته وصوَّبها باتجاه الشارع وهو يقول: الحلّ لدي.. منظار بندقيتي مزوَّد بمنظار للرؤية الليلية.

أقرَن قوله بأن عدل وضع منظاره وهو ينظر فيه فتحولت الرؤية لديه من الظلام الحالك إلى رؤية خضراء باهتة، فقال:

– الآن لدينا رؤية جيدة..

قال له جاك: جيّد، ماذا ترى؟؟

أخذ إي جي يحرك بندقيته يمينًا ويسارًا وهو يقول: الشارع يبدو لي هادئًا لا أ...

قطع عبارته وهو يرتد إلى الخلف مصعوقًا..

قائلًا في عصبية: تبًّا..!!

نهض الجميع في توتر ممسكين بأسلحتهم في قوة يستمدون منها الأمان..

وجون يقول له في ذعر: ماذا رأيت أيها التعس؟؟

اختطف جاك البندقية من إي جي الذي مازال مصعوقًا غير قادر على الكلام في حين قال جاك: ألم أقل لكم؟؟ هناك...

لم يكمل جملته؛ لأنه لم يدرِ بماذا يصف ما يرى..

فعاد يقول بصوت متردد: إنهم أناس عاديون، بشر.. ولكن هناك مشكلة.. حركتهم غير منتظمة وعشوائية..

طلب منه جون البندقية؛ فأعطاه إياها ونظر من خلال منظارها وقال:

أجل ، إنهم يتخبطون أحيانًا ببعضهم البعض.. هل هم ناجون من الانفجار مثلاً؟؟

هنا تدخَّل مارك قائلًا: يمكن أن يكونوا مصابين بسبب الانفجار أو الإشعاعات النووية..؟

قال ماير: إذن لماذا يهيمون على وجوههم هكذا بدون أي رد فعل؟! إنهم يسيرون في دوائر مغلقة.. ولا يتعدون حدود الشارع.

أسقط في يد مارك ولم يمتلك جوابًا، في حين قالت كريستينا:

– لا أعتقد أن الإشعاع النووي يسبب العمى.. إنه يسبب أمراضًا جلدية يمكن حتى أن يؤدي إلى تساقط الجلد والعظام لكن تصاب عينك بالضرر وباقي أجزاء جسدك سليمة، وتستطيع الحركة أيضًا.. لا هذا ليس طبيعيًّا.

سادت حالة من الجدال بينهم بعدما انقسموا إلى فريقين: فريق يؤيد نظرية أنهم مجرد ناجين من الانفجار وقد أصيبوا بشدة..

وفريق آخر يجهل ماهية تلك الكائنات ويصرَّ على أن الأمور ليست على ما يرام.. وأن هناك أمرًا مريبًا يحدث.

هنا رفع ماير صوته قليلًا وهو يقول: حسنًا.. التجربة هي ما سيحكم.. سأعبر مفترق الطرق هذا، وأعبر من خلال الشارعِ ولنرَ ما سيحدث..

كان الجميع يعلمون جيدًا أنه لا سبيل من فعل هذا حتى تتضح الأمور.. أرادوا منعه لكنهم لم يستطيعوا فعل ذلك..

قال إي جي وهو ينهض من مكانه: أنا قادم معك..

ردَّ عليه ماير قائلًا: لا مجال للعاطفة، ثم أن فرصة نجاة واحد أفضل من اثنين بالتأكيد..

هنا قال جاك: دعه يذهب معك.. فرصة بقائكما أنتما الاثنين على قيد الحياة مع بعضكما أفضل من فرصة شخص واحد بمفرده..

إيميلي: حسنًا.. يمكننا حل المشكلة ببساطة، نيد، هل هناك طريق آخر يؤدي إلى الطريق السريع؟

صمت الجميع في خجل، كيف لم يفكروا في هذه الفكرة البسيطة.. في حين قال نيد بيأسٍ وهو ينظر في خريطته:

– للأسف الطريق الآخر في الطرف الشرقي للمدينة على بُعد سبعين كيلومترا، سنحتاج إلى سيارة للذهاب إلى هناك ثم أننا لا ندري ماذا سنجد في طريقنا في حال إذا قررنا الذهاب إلى هناك.

مرة أخرى يضعهم القدر حيث يشاء..

قال ماير وقد حسم أمره: حسنًا، هيَّا يا إي جي..

ذهب إي جي إلى جون وأعطاه بندقية القنص الخاصة به وهو يقول له في تأثُّر عجيب: اعتنِ بها جيدًا إذا حدث لي مكروهٌ..

يودع بندقيته وكأنه يودع حبيبته قبل الذهاب إلى الحرب..

دائمًا هناك علاقة خاصة بين القناص وبندقيته.. علاقة حب وتكامُل.. هما يكملان بعضهما..

ثم أخذ منه مدفعه الرشاش وهو يقول: سأستعير منك هذا.. آمل أن تأخذه منّي في الناحية الأخرى وأنا أسترد بندقيتي..

ابتسم له جون ابتسامة ساخرة..

هنا قامت كريستين من مكانها وهي تقول: أنا أيضًا ذاهبة..

رفع ماير يده قائلا: أحد آخر..

لم يرد عليه أحد فقال: إذن نحن الثلاثة فقط سنعبر إلى الجهة الأخرى..

نظر في وجوههم ثم تنهَّد قائلًا:

– تمنوا لنا التوفيق..

بدأ الثلاثة يتحركون في صفٍّ واحد إي جي في المقدمة وكريستينا في المنتصف ومايز في المؤخرة..

الشارع مظلم والرؤية فيه غير واضحة.. ولسان حال الثلاثة يقول: لماذا وضعنا أنفسنا في هذا المأزق..

تحركوا ببطء وجاك يتابعهم عبر منظار بندقية إي جي وهو يقول في توتر: لقد اقتربوا من متنصف الطريق لم يبقَ إلا 17 مترًا تقريبًا.. نعود إلى الشارع لنلقِ نظرة عن كثب..

الثلاثة يتحركون في صفٍّ واحدٍ ولأول مرة يرون تلك الكائنات عن قرب.. إنهم آدميين لكن هناك بعضهم ينزف من أذنه.. وبعضهم من أنفه وفمه..

كان الثلاثة يبطئون تارة ويسرعون تارة ويتوقفون تارة.. كان كل همهم أن لا يصطدمون بأيٍّ من تلك الكائنات..

هنا قال جون لجاك: كيف تسير الأمور..؟

جاك: جيد، قليل من المناورة وسيصلون إلى الجهة الأخرى..

وفجأة سمعوا صراخ كريستينا.. لماذا صرخت كريستينا؟؟

أثناء حديث جاك وجون كان الثلاثة اقتربوا بشدة من نهاية الشارع المؤدي إلى الطريق السريع فأسرعوا الخطى، وفجأة ارتطمت كريستينا بأحد تلك المخلوقات.. لم يزعجها ارتطامها بهذا الكائن أكثر ما أزعجها ما رأته..

لقد رأت كائنًا منهم ينزف من أذنه وأنفه وفمه.. ولكن كانت هناك مشكلة بسيطة..

عيناه بيضاوان.. لا سواد فيهما..

ارتطمت به وحانت منها التفاتة نحو وجهه رأت عينه فصرخت..

انتفض كل من كان في مقدمة الشارع وهبَّوا ليروا ما سيحدث..

بعد صرخة كريستين توقف الثلاثة تمامًا.. وكذلك الكائنات توقفت أيضًا.. وهي تلتفت حولها بطريقة مخيفة..

وفجأة قام الكائن الذي ارتطم بكريستينا بإمساكها من رقبتها وبحركة واحدة خلع رقبتها من مكانها..

صرخ الجميع في حين أخذ جاك يتقدم نحو منتصف الشارع وهو يحمل بندقية القنص وصوَّبها نحو أقرب الكائنات من ماير، وأطلق الرصاص، اخترقت الرصاصة رأس هذا الكائن وأردته قتيلًا في الحال فصرخ جاك في من خلفه: أطلقوا النار، إنهم يموتون بسهولة..

لم يستطع أحد التصويب في الظلام؛ خوفًا من إصابة جاك أو إيه جي أو ماير.. لكن جون تبعه بأن استل مسدسه من حزامه وبدأ في التصويب على

تلك الكائنات ونجح في إسقاط ثلاثة منهم.. رغم بُعد مسافة تلك الكائنات والظلام الذي يحجبهم..

نعود إلى نهاية الشارع..

ماير بمجرد رؤيته جثة كريستين تسقط أرضًا بدون رأس، رمى مدفعه واستلّ مسدسه بيمناه وخنجرًا بيسراه وأخذ يحاول شقّ طريقه إلى نهاية الشارع..

أخذ يركض ويطلق النار على هذا ويسدد طعنة بخنجره إلى ذاك.. ولكن الكثرة تغلب الشجاعة.. نفدت رصاصات مسدسه وهو في نهاية الشارع..

وتكالبت عليه تلك المخلوقات وسقط على الأرض واختفي جسده تحت أجسادهم.. واخذت قدماه ترتجفان.. و جسده ينتفض بشدة وتنفجر منه الدماء وهو يشهق شهقات عنيفة.. إنهم يمزقون جسده..

كانت كريستينا أفضلهم حظًّا حيث ماتت من فورها.

أما إي جي فكان حظه الأسوأ بين الجميع..

فبمجرد سقوط كريستينا وركض ماير إلى نهاية الشارع حاول أن يفعل مثله ويتقدم إلى نهاية الشارع..

وأخذ يطلق الرصاص حوله في عشوائية ويتفادى تلك الكائنات التي تحاول الإمساك به.. وتعجب من قدرة تلك الخلوقات على رؤيته..

أطلق آخر رصاصات مدفعه على رأس كائن كان يقف أمامه وركض بعد إسقاطه لكنه تعثر في جثة ذلك الكائن الذي أسقطه.. حاول أن يخرج مشط جديد من الذخيرة وهو راقد على الأرض ليواصل القتال..

لكن تلك الكائنات لم تعطه فرصة لذلك..

حيث تكالبت عليه الكائنات أيضًا لكنهم لم يقتلوه.. بل فقؤوا عينيه الاثنتين.. إنهم لا يرون شيئًا محددًا، فقط أياديهم تتحرك في كل الاتجاهات لحين الإمساك بجسده أو أي شيء فيمزقونه شر تمزيق..

ثم بدأوا في انتزاع أطرافه في قوة غير بشرية بالمرة، وتقطيعه قطعًا صغيرًا وهو يصرخ.. حتى سكتت صرخاته..

لم يتمالك جاك نفسه فرمي بندقية القنص وامسك مدفعه الرشاش وأخذ يطلق النار على تلك الكائنات بعشوائية.. كانوا أكثر من خمسين كائنًا لم يستطع أن يسقط حتى ربعهم..

لم يدرِ الجميع ماذا يحدث باستثناء جاك وجون اللذين كانا في مقدمة الشارع..

أما الباقون كانوا يسمعون صوت إطلاق النار والصرخات فقط.. وكان عقلهم هو مخرج المشهد الذي يسمعون أصواته فقط..

وفجأة سمعوا صوت ركض قادمًا نحوهم..

فتحفزوا جميعًا.. ورفعوا أسلحتهم.. لكنهم وجدوا جاك وجون أمامهم.. فقال نيد في جزع: حسبناكم قُتِلتم؟؟ ماذا حدث؟؟

قال جون في توتر وعصبية: يجب أن نغادر هذا الشارع الآن..

عكس الجميع اتجاههم وبدأوا يركضون.. في حين بدأوا يسمعون خلفهم صوت صرير حاد..

قالت إيميلي في ذعر: هل نظل نركض هكذا فقط؟؟

أخذ جاك يلتفت حوله في توتر إلى أن قال في صرامة بعد أن لفت انتباهه شيءٌ ما: أتبعوني..

انعطف يمينًا إلى شارع جانبي متفرع من الطريق العام..

فتبعه الجميع.. فوجدوه يتوقف أمام منزل مكون من طابق واحد، كسرَ شباكه ودخل من خلاله.. قام فتح لهم باب المنزل ليدخلوا تباعًا..

دخلوا جميعًا وامتدت يد إيميلي تبحث عن أي مصدر ضوء لكن مسكة قوية على يدها من يد جاك أوقفتها وهو يهمس: لا تشعلي الأضواء..

إيميلي: إنهم لا يرون؟؟

جاك: نفذي فقط ما آمرك به..

ثم قام وأخذ كرسيًّا وضعه خلف الباب، فهم جون ما ينوي فعله.. فأخذ طاولة صغيرة ووضعها أيضًا خلف الباب..

كان جاك يريد تأمين باب المنزل.. ساعده الجميع في هذا ووضعوا خزانة طويلة عند الشباك المكسور.

في حين قال جون: سأذهب لتفقُّد المكان..

أمر جاك، مارك، أن يذهب معه وانتظروا جميعًا متأهبين.. إلى أن انتهى جون ومارك من فحص المنزل والأخير يقول: البيت نظيف..

جلس الجميع على الأرض والصمت يغلفهم إلا من صوت بكاء إيميلي فقط..

*****

ساد الصمت لفترة من الزمن داخل هذا المنزل.. لا أمل لديهم في النجاة..

قطعت إيميلي نحيبها وهي تقول بصوت باكٍ: سنموت هنا أليس كذلك؟ لن ننجو أبدًا..

لم يحاول أحد تهدئة روعها، الجميع يعلم أن النهاية باتت قريبة إلى حدٍّ كبيرٍ..

في حين قال مارك لإيميلي: ايميلي عزيزتي، أعلم أن الموقف صعب ويفوق احتمالك.. لكن أنتِ الوحيدة المتخصصة في علم الأحياء.. أتنطبق أي صفة من صفات تلك المخلوقات على أي مخلوق آخر في كوكبنا؟؟

حركت إيميلي رأسها يمينًا ويسارًا علامة على النفي..

فقال جاك: إذًا، أيمكن أن تكون تلك المخلوقات من كوكب آخر؟؟

نيد: لا أعتقد ذلك، إنها تشبه البشر..!!

جاك: حقًّا؟؟ وهل أنت تقابل يوميًّا درزينة من الكائنات الفضائية حتى بات بإمكانك التعرف عليهم..

جون: أتقصد يا جاك أن السوفييت قاموا بجلب تلك الكائنات إلى هنا؟؟

جاك: لا أعتقد ذلك .. ولكن يمكن أن يكون غزوًا..

إيميلي: حسنًا، ولماذا لم يقاوم السوفييت هذا الغزو؟؟

سكتوا جميعًا للحظات ثم قال جاك: يبدو أن السوفييت متفاجئون بالأمر مثلنا تمامًا.. وأدخلونا إلى هنا حتى يروا ماذا سنفعل مع تلك الكائنات أو بالأحرى ماذا ستفعل هي معنا.. فإذا كنا نحن من أحضرناها لن تمسسنا بسوء..

قال جون بلهجة ساخر: آمل ان يكون السوفييت قد اقتنعوا الآن أننا ضحايا مثلهم..

قال مارك بصوت مذعور: إذا كان غزوًا من الفضاء فعلًا، يجب أن يخرج أحدنا من هنا حيًّا حتى يخبر العالم كله..

جاك: لا تقلق، اشتباكنا مع تلك الكائنات بالخارج كفيلٌ بأن تعرف منه كل أنحاء الاتحاد السوفييتي أننا ليس من أرسل تلك الكائنات..

ثم نهض واقفًا وهو يقول: حسنًا، سنحاول ان نستريح ونبحث عمّا نأكله ونبحث أيضًا عن أي أسلحة حتى ولو سكاكين..

ثم نجلس نفكر سويًّا لنحاول إيجاد حلٍّ لهذا المأزق..

ثم صمت برهة، وعاد ليقول: لن نموت هنا في مدينة الأشباح تلك..

ولم يصدقه أحد..

* * *

الفصل الخامس

آخر رجل صامد

(The Last Man Standing)

جلس الجميع في بهو ذلك المنزل الذي يحتمون به يحاولون وضع خطة معينة للفرار من هذا الجحيم..

نرى مارك يتحدث بعصبية شديدة وهو يقول: كما سمعتم نيد الطريقان المؤديان إلى خارج المدينة، واحد بعيد عنّا تمامًا والآخر يعج بتلك الكائنات العمياء؛ فما الحل؟؟

إيميلي: الأفضل أن نذهب من نفس الطريق الذي كنا فيه، ربما ببعض المجهود لن يلحظوا وجودنا..

جاك: المشكلة أن تلك الكائنات انتشرت في جميع أنحاء الشارع، أي أننا بمجرد خروجنا من باب المنزل سنجدهم أمامنا مباشرة..

جون: في كل الأحوال لن نجلس هنا ونقضي نحبنا جوعًا وعطشًا..

ثم التفت إلى جاك قائلًا: هل لديك مفاتيح الطائرة؟؟!

أخذ جاك يبحث في سترته حتى أخرجه وهو يسأل جون: هاهو، لكن ما فائدته؟!

جون: أعتقد أن الموت في حادث تحطُّم طائرة أفضل بكثير من التمزيق حيًّا على يد تلك الأشياء..

صرخت إيميلي في جنون: هذا انتحار عندما نذهب لمواجهة تلك الكائنات يكون لدينا أمل في النجاة؛ لأننا نقاتل من أجل حياتنا لكن عندما نركب الطائرة من سيقودها.. ثم أن معسكرنا أصبح تحت سيطرة تلك الكائنات الشبيهة بالذئاب؛ فكيف سنستطيع الإقلاع بالطائرة..

جون: لقد أخذت عدة دروس طيران على طائرة مدنية صغيرة.. كالتي تستخدم في رش الحقول.. أعتقد أنه حتى إذا أقلعت بالطائرة ونجحت بالهبوط بها خارج المدينة حتى لو محطَّمة سترتفع نسبة نجاتنا إلى 70% على الأقل..

وافقه جاك بإيماءة من رأسه وهو يقول: وربما أكثر من هذه النسبة.. وبالنسبة لتلك الكائنات الشبيهة بالذئاب فلنأمل أنهم قد غادروا معسكرنا.. حسنًا لن نستبق الأحداث، لنخرج من هنا أولًا..

نيد: جاك، أتوافق جون على هذا الجنون التام؟؟

جاك: الأمور كلها تسير بطريقة مجنونة.. أعتقد أن هذا أملنا الوحيد في الخروج من تلك المدينة..

مارك: أنا غير موافق.. الأفضل أن نبقى هنا حتى تأتي المساعدة..

جاك ساخرًا: حسنًا، أعتقد أنه ليس معي ما يكفيني لثلاث ساعات من الماء.. وليس لدي طعام نهائيًّا، ولدي مشطان إضافيان من الذخيرة..

ثم اقترب من مارك وهو يقول له: هل سنأكل الذخيرة؟!

ثم قال بصوت مرتفع وحاد بعض الشيء: حسنًا، لنموت جوعًا وعطشًا هنا حتى تأتي النجدة كما قال هذا المأفون..

جون: مارك، صديقي، اسمعني جيدًا.. لو كان السوفييت يمتلكون طريقة لنجدتنا.. الأولى أن يقوموا بنجدة أنفسهم.. نحن هنا لمساعدتهم وليس العكس..

إيملي: أجل.. يمكن أن يكون السوفييت قد تعرضوا لهذا الموقف ولهذا طلبوا مساعدتنا..

قال جاك بلهجة حاسمة لإنهاء الموضوع: حسنًا يا رفاق، سنعود إلى معسكرنا ونحاول تشغيل الطائرة والتحليق بها بعيدًا عن هنا.. اجمعوا أغراضكم.. ولنغادر هذا الجحيم..

عزيزي جاك.. لا أحد يغادر الجحيم.. أبدًا..!!

*****

وقف الجميع عند باب البيت يستعدون للخروج في حين أخذ جاك يعطيهم التعليمات الأخيرة:

لن نسير فرادى ، أو في وسط الشارع.. سنلصق ظهورنا بجدران المنازل والمباني التي تحيط بنا حتى نتجنب التصادم مع تلك الكائنات.. ولنحمي ظهورنا.. حتى لو رأينا الشوارع كلها خالية بالخارج..

سأخرج أولًا لأكون بالمقدمة.. يليني نيد ثم إيميلي ثم مارك ثم جون بالمؤخرة..

سنحاول الإسراع بقدر استطاعتنا.. سنغادر من نفس الطريق الذي أتينا منه.. هل أنتم مستعدون؟؟

لم يردوا عليه فقال هو: جيِّدلنخرج الآن..

ثم أزاح الأشياء التي كانوا وضعوها مسبقًا لتأمين المكان وتعاونوا معه في هذا، وعندما انتهوا، أخذ نفسًا عميقًا محاولًا السيطرة على انفعالاته، ثم أدار مقبض الباب وفتحه..

وخرج من البيت بهدوءٍ شديدٍ.. كان هناك العديد من الكائنات تمشي بلا هدف ولكن أعدادها قليلة..

وتعجب من أنهم كيف لا يصطدمون بالجدران.. في أثناء مشيهم بدون هوادة بتلك الطريقة..

ألصق ظهره بالجدار كما اتفقوا ثم تبعه نيد وإيميلي ومارك وجون..

ألصق الخمسة ظهورهم بالجدران وبدأوا في التحرك في نفس الاتجاه الذي قدِموا منه.. وهم يكتمون أنفاسهم لكي لا تشعر بهم تلك الكائنات.

تعجب الجميع أن كلما ساروا قل عدد الكائنات العمياء في طريقهم حتى أصبحوا يحصون على أصابع اليدين بعد نصف ساعة من المسير.. لكن لم يجرؤ أحد على التكلم خشية اكتشاف أمرهم..

أصبحوا يسيرون لمدة ساعة وتعجبوا أكثر أنهم لم يعودوا يرون أيًّا من تلك الكائنات العمياء وكأنهم يتمركزون عند مداخل ومخارج المدينة ..

همس جاك: توقفوا..

توقف الجميع وهم يلهثون؛ فالسير لمدة أكثر من ساعة بهذا الوضع مع هذا الكم من الانفعالات صعب جدًّا.. ظهرك ملتصق بالجدار وتحمل بندقيتك وتنظر حولك في كل الاتجاهات متوقعًا انقضاضة من هنا أو من هناك..

عاد جاك ليقول: حسنًا، الطريق الآن خالٍ، وقد اقتربنا من المعسكر، ولكني لن أخاطر بالسير بطريقة طبيعية حتى نصل إلى المعسكر..

قال هذا وهو لم ينتظر ردًّا من أي أحد؛ فرفع يده وقال لهم: هيَّا بنا..

كانت الشوارع خالية من تلك الكائنات.. فاطمأنوا قليلًا وتابعوا السير..

لكن فجأة توقف جاك.. ثم أشار لهم بالتوقف ثم أخفض رأسه قليلًا، وظلَّ ساكنًا.. الجميع لا يرون ما يحدث.. جاك أمامهم يحجب زاوية الرؤية تمامًا.. لكن لم يكن لديهم الجرأة حتى للنظر إلى ما يراه جاك..

ثم تناهى إلى مسامعهم صوت زمجرة خفيضة وكذلك صوت مضغ.. أشار لهم جاك فيما معناه أن عودوا أدراجكم.. بدأوا بالفعل بالعودة..

حتي ابتعدوا قليلًا..

ثم فوجئوا بجاك يقول: تبًّا..

ثم رفع سلاحه وأطلق النار.. حسنًا لنحاول رؤية الأمور من منظور جاك..

كان جاك يقود من بقي من فريقه، يلصق ظهره بجدار أحد المباني ثم توقف فجأة..

لقد رأى أحد تلك الكائنات الشبيهة بالذئاب.. ينحني على جثة تعود لأحد تلك الكائنات العمياء.. لكنها مشوَّهة إلى حدٍّ كبيرٍ.. ومفقود منها أجزاء كثيرة.. كان هذا الكائن يقضم من جثة الكائن الأعمى بنهمٍ شديدٍ..

أشار جاك إلى رفاقه أن يعودوا أدراجهم ببطءٍ.. لكن انتبه الكائن بما يدور خلفه.. فالتفت إليهم بكامل جسده تاركًا فريسته الأساسية..

نعود إلى موضعنا الأصلي بعدما رأينا ما رآه جاك.. وجعله يطلق النار..

أطلق جاك النار على الكائن.. لكن ولا رصاصة واحدة أصابت هذا الكائن.. ليس لسوء تصويب جاك.. ولكن لأن الكائن نفسه لم يكن في موضعه.. لقد قفز قفزة عالية وسريعة حتى أنك قد تظن أنه اختفى من مكانه..

وعلى حين غرة وجد الجميع الكائن بينهم.. حاول جاك التصدي له؛ فرفع مسدسه وأطلق عدة رصاصات اخترقت إحداها عنق الكائن الذي انفجر من جرح عنقه دم لونه أسود ولزج جدًّا..

لكن الكائن لم يتأثر بهذا بل طوَّح بيده في اتجاه نيد وأسقط رأسه من على جسده في ضربة واحدة..

كل هذا حدث فيما لا يتجاوز العشر ثوانٍ.. فلم يمتلك أي أحدٍ حق الرد..

لكن مارك استطاع التغلب على المفاجأة وقفز فجأة نحو الكائن مستلًا سكينًا كان قد أخذه من المنزل..

حتى الكائن فوجئ بتلك الانقضاضة..

وقبل أن تصل قدما مارك إلى الأرض كان قد وضع سكينه في عين الكائن اليمني.. الذي أطلق عويلًا حادًا جدًّا.. وقبل أن يسقط الكائن.. ضرب مارك على صدره ضربة أطاحت به عدة أمتار إلى الخلف وسقط أرضًا في وسط الشارع وهو ينزف دماء غزيرة من صدره..

ذهب إليه جون مسرعًا محاولًا حمله إلى جانب الطريق في حين رفعت إيميلي مسدسها وصوبته نحو رأس الكائن.. وحانت منها التفاتة إلى عين هذا الوحش.. لم تكن مقيتة إلى هذا الحد.. إنها عين عسلية هادئة.. .تحمل فيضًا من المشاعر الحبيسة..

إنها عين بشرية.. شعرت إيميلي بنداء من تلك العين يرجوها بأن تطلق النار وبالفعل.. أطلقت إيميلي ثلاث رصاصات اخترقت كلها رأس هذا الكائن وتناثرت أجزاء من جمجمته على الأرض وعلى الجدار الذي يستندون عليه..

في هذه الأثناء كان جون يحمل مارك ووضعه على الأرض برفق وهو يقول لهم: لقد تمزقت عضلات صدره..

كان هناك أثر خمسة مخالب على صدر مارك الذي تأوَّه في ألمٍ ثم سعل.. ناثرًا بضع قطرات من الدم وهذا الأخير يقول بصوتٍ لاهثٍ:

إنه تمزُّق سطحي فقط، ولكن ما يؤلمني حقًّا هو سقطتي.. هذا اللعين يمتلك قوة عشرة رجال.

قالت له إيميلي: هل تستطيع مواصلة السير؟؟

مارك وهو يحاول أن ينهض: أجل، أستطيع..

ثم نظر جاك إلى جثة نيد للحظات في تأثُّر.. ثم سار خطوات قليلة حتى وصل إلى رأس نيد التي طارت بعيدًا عن جثته.. وغالب انفعالاته وانخفض وأمسك برأس نيد المقطوعة ثم عاد إلى جثته، ووضع رأسه بجانبها وهو يقول: ارقد في سلام، لقد كنت حقًّا شجاعًا..

همّوا بإكمال السير لكنهم وجدوا جثة الكائن الأعمى الذي كان يلتهمه الكائن الشبيه بالذئب..

فقالت إيميلي: يبدو أننا أمام سلسلة غذائية أخرى تتكون على هذا الكوكب..

قال مارك في سخرية لا تتوافق مع حالته أو مع الموقف عامة: وقد أصبحنا نحن أيضًا عضوًا في تلك السلسلة الغذائية.. لكن في أسفلها..

لم يهتموا بتعليق مارك، لكن جاك أشار إلى الجثة التي أمامه، ثم سأل إيميلي قائلًا:

– ما الذي يعنيه هذا، أيأكلون بعضهم البعض؟!

إيميلي: أعتقد أن ما تراه يجاوب على سؤالك.. ربما أن الكائن الشبيه بالذئب لم يجد مصدر طعام آخر؛ فقرر أكل تلك الكائنات العمياء..

جون: تلك الكائنات الشبيهة بالذئاب يمكن أن تكون كائنات فضائية.. لكن هؤلاء البشر الذين أصيبوا بالعمى وأصبحوا يتحركون بعشوائية ويمزقون أيَّ بشري آخر يقع تحت أيديهم.. أهُم فضائيون أيضًا..؟؟

إيميلي: لا أعتقد أن هناك شرًّا سيأتينا من الخارج.. الشرور التي على كوكبنا تكفي.. وتفيض الكون بأكمله.

جاك: أيمكن أن تكون تلك الذئاب بشرًا؟؟

إيميلي: لا أعرف حقًّا يا جاك.. الأفضل أن نواصل السير.. .

واصل الجميع السير، جاك في المقدمة يليه جون يساعد مارك على السير وفي المؤخرة إيميلي..

واصلوا المسير لمدة تقارب العشرين دقيقة، ثم قال جاك: حسنًا، سننعطف إلى هذا الشارع ونسير فيه حتى نصل إلى الأحراش المؤدية إلى معسكرنا..

اطمئنوا قليلًا لقد اقتربوا كثيرًا من معسكرهم.. انعطف جاك ثم انعطف الآخرون وراءه..

وللمرة الثانية على التوالي، يتوقف جاك فجأة من هول ما يرى..

الكائنات العمياء مرة أخرى يمتلئ بها هذا الشارع..

وكأن طعنة بخنجر خارج لتوّه من الجحيم قد أصابت قلوبهم.. الطريق الوحيد المؤدي لنجاتهم مملوء بتلك الكائنات البغيضة.. كانوا على مسافة قليلة

من معسكرهم لا تتجاوز الخمسين مترًا.. لكن تلك الكائنات تحول بينهم وبين ذلك..

اختبأ الجميع خلف أحد الجدران فيما قال جون وقد بدأ يفقد أعصابه: حسنًا ماذا سنفعل الآن.. ؟ لقد أصبحنا محاصرين.. !!

جاك: ماذا سنفعل؟ هل نعود للمنزل أم ندخل أي منزل آخر..؟

ايميلي: هل لاحظتم أنه لا توجد هنا أي سيارات.. على الأقل في هذا القسم من تشيرنوبيل..!!

انتبه الجميع لما لاحظته إيميلي، لم يجدوا سيارة واحدة أو حتى حطام سيارة.

في حين قال مارك وهو يغالب آلام جراحه: حسنًا، ليس هذا وقت الملاحظات يا إيميلي.. لن نخاطر بالعودة إلى الطريق المؤدي إلى خارج المدينة.. أنا أقترحأان نقتحم هذا الشارع.. هم سرعتهم بطيئة ربما إذا ركضنا سنستطع المرور من بينهم..

ألقى جاك نظرة أخرى على الشارع من خلف الجدار، ولاحظ أن عدد الكائنات يتزايد وأصبح يربو على السبعين كائنًا..

عاد جاك إلى موضعه ثم أخرج قنبلة يدوية من سترته وهو يقول لهم: حسنًا يا رفاق لدي خطة.. كما ترون لدي قنبلة.. آخر قنبلة أحملها معي.. سأقوم بإلقاء القنبلة على هؤلاء الاوغاد لأفتح ثغرة من بينهم..

قاطعه جون قائلًا: ألقِ القنبلة على أحد جانبي الشارع وليس في المنتصف..

عاد جاك ليقول: حسنًا، أيًّا كان!!.. سأرمي القنبلة ثم سنقوم جميعًا بفتح النار على الشارع بكثافة وعشوائية حتى نضمن سقوط أكبر قدر ممكن منهم.. وبعدها نركض مسرعين بمحاذاة الحائط لنخرج من هذا الشارع..

قالت إيميلي بعدما القت نظرة خاطفة على الشارع: إذا ألقيت القنبلة لن تستطيع حتى قتل نصفهم لأنهم منتشرين في انحاء الشارع بطريقة عشوائية.. يجب أن يذهب أكبر قدر ممكن منهم إلى القنبلة..

جون: وكيف سنلفت نظرهم إلى القنبلة أيتها العبقرية؟؟هل سنقول لهم مرحبًا لدينا هنا قنبلة نرجوكم اذهبوا إليها؟؟

جاك: حسنًا القنبلة ستسقط جزء كبير منهم والباقي سنجهز عليه بأسلحتنا..

مارك: كم تملكون من الذخيرة..

أخرج كلٌّ منهم مشط الذخيرة الخاص به..

قال جاك بحسرة: لدي نصف مشط.

جون: لدي رصاصتان ومشط إضافي.

إيميلي: لدي مشط كامل من الذخيرة وهو الأخير..

قال مارك: وأنا فقدت مسدسي أثناء سقوطي واستخدمت كل ذخيرتي من قبل..

صمت الجميع في خيبة أمل.. كان مارك يتحامل على نفسه حتى يستطيع أن يقف بدون مساعده من أحد..

لكن فجأة اختطف مارك القنبلة من يد جاك، ثم ابتعد بها ملوحًا بسكينة في وجههم قائلًا: لا يقترب مني أحد.. لقد اتخذت قراري.. سألفت نظر أكبر قدر ممكن منهم ثم سأفجر القنبلة في أحد جوانب الشارع وتجهزون أنتم على الباقي..

قالت إيميلي في خوف محاولة ألا ترتفع نبرة صوتها وهي تقول: أرجوك يا مارك لا توجد فائدة، دعنا نلقي القنبلة فقط..

قال مارك بحسرة: لقد نزفت كمية كبيرة من الدم.. وأصبحت رؤيتي مشوشة.. وبالكاد أستطيع الوقوف؛ فما بالكم بالركض والقتال.. إصابتي ليست بسيطة إنها قاتلة.. لكن يمكن أن القدر جعلني لا أسقط وقتها حتى أكون سبب نجاتكم الآن..

ثم أغلق عينيه وأخذ نفسًا عميقًا وهو يقول: سأفجّر القنبلة وأنتم اركضوا بأسرع ما يكون..

وقفوا جميعًا غير قادرين على التكلم أمام تضحيته.. انتزع جاك نفسه من حالة الصمت محاولًا التغلب على مشاعره، واقترب من مارك الذي لوَّح بسكينة مهددًا فقال له جاك:

– سأصافحك فقط..

اقترب جاك منه ومدَّ يده إليه.. ومدَّ مارك يده أيضًا وتصافحا..

جاك: سيدي، برغم أنك عالم ومدني لكنك تتمتع بشجاعة نادرة قد لا يتحلى بها بعض العسكريين.. أنت أشجع مَن قابلت.

حاولت إيميلي كتم دموعها لكنها لم تستطع فتركت لها العنان لتسيل لتغرق وجهها، في حين قال جون في تأثُّر واضح لم يحاول إخفاءه:

– أنا أرفض فعلتك هذه يا مارك.. لنقاتل سويًّا إلى النهاية وإذا كان مقدر لنا الموت فلنمت ونحن نقاتل معًا..

قال له مارك بصوت ثابت: لقد اتخذت قراري..

ثم انتزع نفسه من وسطهم وخرج من مكمنهم، ووقف في مقدمة الشارع وأخذ نفسًا عميقًا، وقال لنفسه بصوت منخفض: حسنًا.. أنا مستعد للذهاب إلى الجحيم.

أخذ يسير ببطء متحاملًا على نفسه حتى أصبح وسط أكبر قدر من تلك الكائنات.. فقام بدفع أحدهم وأسقطه.. وطعن آخر بين عينيه.. وذبح ثالثًا.. وركل رابعًا.. ثم اتجه إلى ركن على الجانب الأيسر للشارع ليسمح لرفاقه بالمرور من الجهة الأخرى للشارع، وأثناء ركضه أحسَّ بأسنان تنغرز في كتفه.. وأخرى تنشب في عنقه وأيادٍ كثيرة تحاول انتزاع قطع من جسده..

أخذ يطوح سكينه يمنة ويسرة حتى أحس أنه غير قادر على الحركة..

تكالب عليه العشرات منهم وأخذ يقاتل ليحافظ على آخر قدر ممكن من الوعي ليضمن تفجير القنبلة في أكبر قدر ممكن منهم..

رفع القنبلة إلى وجهه وقد بدأ جسده يتمزق إلى قطع ثم صرخ بكل قوته: لن أذهب وحدي..

ونزع فتيل القنبلة ثم أغمض عينيه بقوة.. ودوي الانفجار.. انفجار عنيف وقوي..

بمجرد سماعهم صوت الانفجار ركض الثلاثة المتبقين ناحية الشارِع.. وهم يطلقون النار على من يصادفهم حيًّا من تلك الكائنات..

ركضوا بأسرع ما يمكنهم وكأن شياطين الجحيم تطاردهم.. أخذوا يركضون حتى أصبح الشارِع في ظهرهم تمامًا ووصلوا إلى منطقة الأحراش المطِلَّة على معسكرهم..

أخذوا يركضون حتى وصلوا إلى منتصف الأحراش.. .فتوقفوا وهم يلهثون.. وتأكد جاك أن لا أحد يتبعهم..

في حين سقطت إيميلي على الأرض قائلة: لم أعد أحتمل هذا الجحيم.. الموت أفضل من التعلق بأمل النجاة..

قال له جون مواسيًا: تضحية مارك لم تذهب هباءً لقد أعطانا فرصة أخرى للنجاة..

قالت إيميلي وقد بدا أنها تشهد مقدمات انهيار عصبي شديد:

– وما الفائدة.. ضحَّى بحياته من أجل أن يمنحنا بضع ساعات إضافية بعدها سنلحق بهم جميعًا..

لقد مات الجميع لم يبقَ سوانا..

وانهارت على الأرض وبدأت تبكي في حرقة، فتوجَّه إليها جاك قائلًا بصرامة:

– حسنًا.. حتى إذا كان هذا ما يريده مارك.. أن يعطينا بضع ساعات إضافية.. فأنا لن أرفض هديته وسأقاتل في تلك الساعات الإضافية..

نجاتنا وإخبار العالم بما يدور هنا هو الوسيلة الوحيدة لأن تجعل تضحيات كل من ماتوا لا تذهب هدرًا.

سأقاتل حتى أغادر تلك المدينة.. حتى لو فعلتها وحدي..

قامت إيميلي وهي تقول: ربما لديك حق.. سنغادر هذا المكان..

جون: حسنًا.. لنغادر هذا الجحيم..

وبدأوا في السير إلى معسكرهم عبر الأحراش..

*****

بعد قرابة العشرين دقيقة، وصل الثلاثة الباقون من البعثة إلى نهاية الأحراش..

أوقفهم جاك وهو يقول: لا ندري ماذا ينتظرنا في المسافة التي تفصلنا عن المعسكر، لذلك لنخرج من تلك الأحراش ونركض بأسرع ما يمكن حتى نصل إلى الطائرة..

جون: وماذا إن وجدنا تلك الكائنات مازالت في المعسكر؟!

جاك: سنعود أدراجنا إلى هنا.. لا يوجد لدينا حلول كثيرة، هذا أفضل ما لدينا.

أومأوا بروؤسهم موافقة على كلامه.. كانت الأشجار والنباتات تحجب مجال الرؤية خلفها تمامًا..

فيجب أن تخرج من نطاقها حتى ترى بوضوح، وبالفعل خرج الجميع من الأحراش وبدأوا في الركض.. لكنهم تسمروا واتسعت أعينهم في دهشة..

كان مخيمهم مدمرًا تمامًا وبعض أجزائه محترقة.. ومبعثرة محتوياته.. العينات التي لم يستطيعوا أخذها معهم.. ملقاة على الأرض وقد تم تخريبها..

ورق مفقود.. وآخر ممزق.. الخيام ممزقة وبعضها مشتعل.. النيران مازالت تأكل أجزاءً كثيرة من مخيمهم..

لكن الطامة الكبرى التي جعلتهم يفقدون كل أمل وكل رغبة في الحياة.. هي أن طائرتهم محترقة تمامًا ومدمَّرة..

جن جنون جاك فركض ليصل إلى المخيم وتبعه جون وإيميلي بلا تفكير. حتى وصلوا إلى حدود المعسكر..

كان جون أول من قطع حبل الصمت وتكلم:

– من فعل هذا قد استخدم قاذفات اللهب..



ردَّت عليه إيميلي بحسرة كبيرة: لا يهم ماذا استخدم.. المهم أن الطائرة دُمِرَت تمامًا.. ودُمِّر معها أملنا الوحيد في مغادرة تلك المدينة أحياء..

قال لهم جاك: ليس المهم كيف فعلها أو لماذا.. الأهم هو من فعل هذا؟؟

هناك بشر غيرنا في هذا المكان.. قد وجدوا جثث باقي أعضاء البعثة.. وجثة الكائنين الذين قُتِلوا أثناء اشتباكنا معهم.. وقاموا بأخذها.

نظروا إلى بعضهم وقد انتبهوا إلى هذه الحقيقة..

قالت إيميلي:

– إذن هناك أحدهم.. لا يريد خروجنا من المدينة بالمعلومات التي لدينا..

قال جاك في سرعة: اذن هم السوفييت يريدون قتلنا..

ردَّ عليه جون قائلًا: ولماذا يدمرون المعسكر؟؟ كان يمكن أن يكتفوا بتدمير الطائرة فقط..

ردَّ عليه جاك هذه المرة قائلًا: يبدوا أنهم كان يبحثون عن شيء معين..

إيميلي: عينات مثلًا أو معلومات دوناها.. هم في الأغلب لا يعلمون لماذا خرجنا من المعسكر..

جاك: لا، فوجود جثث بعض أعضاء البعثة وجثتين من تلك المخلوقات سترسم لهم الصورة كاملة.

جون: هناك أمور قذرة تتم هنا في هذه المدينة، والسوفييت يحاولون إخفاءها..

إيميلي: إذن لماذا سمحوا لنا بالدخول إلى هنا؟؟

جاك: يبدوا أن هناك جهة غير رسمية ربما أو حتى رسمية.. تعارض قرارات الجهات الأخرى.. فقررت التصرف من تلقاء نفسها بتصفيتنا..

ايميلي: لكن..

قبل أن تكمل عبارتها.. فوجئت بوابل من النيران يطلق من خلفهم..

الرصاصات تنهمر عليهم من كل مكان..

احتكت إحدى الرصاصات برقبة جون فانفجرت منها الدماء مسببة الذعر لإيميلي..

ركضوا جميعًا لا يعرفون أين يذهبون، في حين صاح جون وهو ممسكا بجرح رقبته: هيَّا إلى الأحراش جميعًا..

استمر انهمار الرصاص عليهم من كل الجهات حتى عادوا مرة أخرى إلى الأحراش..

استمر انهمار الرصاصات لثوانٍ..

قبل أن يسمعوا صوت يتحدث باللغة الروسية التي لا يفهمونها..

ثم توقف صوت إطلاق الرصاص تمامًا وساد السكون المكان..

*****

جلس الثلاثة في الأحراش صامتين.. فلا توجد كلمات في كل لغات الأرض كفيلة بشرح المأزق..

بعيدون عن أرض الوطن بآلاف الكيلومترات..

موجودون بمدينة جلّ سكانها.. كائنات بشرية عمياء.. وأخرى تجمع بين صفات الذئب والإنسان.. حتى البشر الوحيدين في المدينة يريدون القضاء عليهم..

ووسيلة المواصلات الوحيدة التي كانت توفر لهم فرصة في النجاة قد دُمِّرت تمامًا..

أصدقاؤهم قُتِلوا جميعًا، وبأبشع الطرق..

لا يوجد معهم ماء أو غذاء..

ولا توجد ذخيرة..

أعتقد أنه إذا أراد أحدٌ أن يعطي مثالًا على اليأس وانعدام الأمل..

لن يجد مثالًا أبلغ من هؤلاء الثلاثة..

" الأمر واضح.. السوفييت غارقين في هذا الأمر حتى النخاع.. إنهم يعرفون بأمر تلك الكائنات.. وقد أدخلونا نحن إلى هنا لمواجهتهم أو للتخلص منا.. لا أعلم، هناك نقطه غامضة بالموضوع "

كان المتحدث جاك..

نظر له جون نظرة خاوية بلا معنى، في حين نظرت إليه إيميلي وعيناها مغرورقتان بالدموعِ وهي تقول: لا يهم نحن ميتون في كل الأحوال..

ردَّ عليها جاك: لماذا هذه الروح الانهزامية؟؟ لقد نجونا من مواقف أصعب من تلك من قبل..

جون: أجل نجونا في السابق لنموت الآن..!

إيميلي: لماذا يا جاك لا تفهم أن كل كائن حي يتحرك في هذه المدينة يسعى للنيل منا؟

أطرق جاك برأسه أرضًا وهو يقول: أجل.. نحن ميتون لا محالة..

ثم نام على ظهره متطلعًا إلى قمم الأشجار التي تحيط به..

وهو يقول: الموت قادم لا محالة..

مرت ثلاث ساعات وهم جالسون في أماكنهم.. نفدت منهم المياة.. وأصبحوا ينتظرون الموت عطشًا أو على يد تلك الكائنات أو على يد السوفييت..

كان جون جالسًا على صخرة كبيرة يتطلع في اللاشيء .. ثم سمع صوتًا.. حاول أن يرهف سمعه..

إنه صوت خطوات تقترب منهم..

قام من مكانه وتوجَّه إلى جاك وأشار له بيده أنه يسمع صوت خطوات تتقدم نحوهم..

كانت إيميلي نائمة.. فلم يوقظاها.. رفع كلٌّ منهما سلاحه في تحفُّز..

وصوت الخطوات يقترب أكثر فأكثر.. الأدرينالين يزيد في الدم حتى يصبح الفرد عاجزًا عن التنفس..

ثم سادت لحظات من الصمت.. وفجأة قفز أمامهم جندي سوفيتي يصرخ بعبارات غير مفهومة وهو يصوّب سلاحه إليهم..

هبَّ جاك وجون وهما يصوبان أسلحتهما نحو الجندي السوفييتي والأول يقول:

- أخفض سلاحك يا هذا وإلا أطلقت النار..!!

هدأ الجندي السوفييتي قليلًا ثم قال بانجليزية ركيكة: حسبتكم من الأعداء..

ثم أشار خلفة فجاء جندي سوفييتي آخر، لكنه مصاب بشدة في قدمه ويربطها بضمادة ملوثة بالدماء..

استيقظت إيميلي بسبب صوت الصياح.. فوجدت أمامها الجنديين السوفييتين يقفان أمام رفيقيها والموقف ينذر بالاشتعال..

فقامت مفزوعة ثم أمسكت سلاحها..

فقال الجندي المصاب بإنجليزية سليمة: لا تقلقوا.. نحن لا نريد بكم أي أذى..

ردَّ عليه جاك في تحفُّز وهو يمسك سلاحه في حذر: ألستم من أطلق علينا النار..؟

تبادل الجنديان النظرات ثم تبادلوا عدة كلمات فيما بينهما باللغة الروسية قبل أن يقول الجندي المصاب:

– أجل.. نحن من أطلقنا عليكم النار..

رفع جاك سلاحه في وجههم بعد أن كان قد أخفضه وهو يقول في غضب: وجئتم تنهون ما بدأتموه.. أليس كذلك؟؟

قال له الجندي السوفييتي المصاب: بالطبع لا.. لو كنا نريد قتلكم لفعلنا هذا بدون أن نريكم أنفسنا..

ثم قال الجندي الآخر بإنجيليزيته الركيكة: الآن نحن في صفٍّ واحدٍ..

ثم أخفض سلاحه.. واقترب منهم هو والجندي الآخر المصاب..

وساعد زميله المصاب في الجلوس على الأرض.. ثم جلس بجانبه ووضع سلاحه.. وهو يقول: كما ترون.. لا نضمر لكم أي شر.

إيميلي: ولماذا أطلقتم علينا النار؟!

الجندي الصاب: في الحقيقة لم نكن نحن بالضبط.. إنها الفرقة التي ننتمي إليها هي التي قامت بإطلاق النار عليكم.. وتدمير معسكركم..

قال جاك بحس رجل المخابرات: حسنًا.. أنتم لا تضمرون بنا الشر.. لماذا دمرتم معسكرنا.. والوسيلة الوحيدة المتاحة لنا للخروج من هذه المدينة؟ أرجوا أن تشرحوا لنا.. طالما أنتم لا تضمرون لنا شرًّا..

نظر الجنديان إلى بعضهما البعض ثم تبادلا بضع عبارات بلغتهما.. ثم تنهد الجندي المصاب وعدل وضع قدمه المصابة وهو يقول:

– إنها قصة طويلة، ولكني سأحاول أن أختصرها لكم..

تم استدعاؤنا من روسيا الأم قبل الحادث بأسبوعين.. لم نعلم ما هو سبب وجودنا الحقيقي إلا بعد الكارثة..

في البداية.. قالوا لنا أنها تدريبات عسكرية بيننا وبين الأوكران..

وتم تسكيننا في مقر كتيبة أوكرانية.. تم إخلاؤها من اجلنا.. .جلسنا هناك بدون أي عملٍ.. كنا خمسين جنديًّا من السبيتسناز(القوات الخاصة الروسية)

وضابطان فقط.. ثم حدثت الكارثة وانفجر المفاعل.. وجاءت برقية إلى قائد كتيبتنا.. وبعدها تجهمت ملامحه وظلّ عصبيًّا طوال الوقت.. بالطبع لم نعلم ماذا حدث.. أخبرنا قائدنا أننا سنساعد الأوكرانيين في إجلاء السكان من تشيرنوبيل ونقل المصابين إلى خارج المدينة..

لكن الأمر لم يقتصر على هذا.. جاءت برقية أخرى إلى قائدنا.. لكن تلك البرقية عرفنا فحواها.. أن هناك بعثة علمية أمريكية جاءت بحجة مساعدتنا ببعض الأجهزة الحديثة.. لكن اكتشفت مخابراتنا أن أحد أعضاء تلك البعثة هو ضابط مخابرات أمريكي، فقررت مخابراتنا تصفيتهم..

نظر أعضاء البعثة إلى بعضهم البعض في حين تابع الجندي المصاب:

– علمنا فيما بعد سبب وجودنا الأساسي في أوكرانيا.. أن هناك خطرًا تمإارسالنا لاحتوائه..

المهم أن الغرض الأول للمهمة وهو قتلكم.. تم تنحيته مؤقتًا.. ونقلنا إلى الغرض الثاني: احتواء الخطر..

لم نعلم بالطبع ماهية الخطر الذي يتحتم علينا احتواؤه..

كنا نخرج في دوريات تجوب شوارع المدينة الخالية للبحث عن أي ناجين.. حتى قابلناهم لأول مرة..

عند هذه النقطة ارتجف صوت الجندي وتوقف عن الكلام للحظات وهو يقول: كنا في دورية لنا كالمعتاد، كانت الشوارع خالية.. حتي هجمت علينا تلك الذئاب.. لم ينج من الدورية غيري أنا.. هرعت إلى مقر كتيبتنا.. وأخبرت الجميع.. لم نخشَ بقدر ما غضبنا..

لم ندرِ ماذا يحدث أو ما هؤلاء.. حتى أننا شككنا أنها شياطين..

في اليوم التالي مباشرة.. فوجئنا بهجوم من تلك الكائنات على معسكرنا.. هاجمتنا بأعداد كبيرة.. استمرت معركتنا معهم قرابة الساعتين.. كنا ندافع عن معسكرنا..

لكننا لم نستطع الصمود فترة طويلة.. قررنا ركوب مدرعاتنا ومغادرة المدينة.. لم ينجُ منّا سوى خمسة عشر شخصًا فقط..

لكننا فوجئنا أن كل المدرعات معطوبة.. ما عدا مدرعة أو اثنتين لم يتم إعطابهما..

هناك شخص دخل معسكرنا ولم نرَه وأعطب كل مدرعاتنا بالرغم من تشديدنا للحراسة على كل مداخل المقر الخاص بنا..

المهم أننا نجحنا في الهروب من المعسكر.. وكان معنا قائدنا..

لم ندرِ ماذا نفعل.. انقطعت اتصالتنا بالعالم الخارجي تمامًا.. وكذلك لا توجد لدينا وسيلة للخروجِ من المدينة..

كجنود سبيتسناز قررنا أن نخوض المعركة إلى آخر رجل فينا.. فانتقلنا إلى الشق الأول من المهمة ألا وهو قتلكم..

عند ذِكر هذه النقطة تبادل جاك وجون وإيميلي النظرات فيما بينهم وهم يسترجعون الأحداث التي حصلت لهم..

تابع الجندي المصاب: ذهبنا إلى معسكركم بنيَّة قتلكم.. لكننا لم نجدكم.. دخلنا المعسكر بحثًا عنكم ووجدنا جثث رفاقكم لكن لم نجد أي أثر لأي جثث أخرى لتلك الذئاب وفتشنا كل شبر في معسكركم بحثًا عن وثائق أو ما شابه.. ولكننا لم نجد شيئًا.. قرر قائدنا تدمير المعسكر تمامًا.. ومحاولة الخروج من المدينة سيرًا على الأقدام..

دمرنا المعسكر الخاص بكم، وفي طريقنا للخروج من المدينة.. قابلنا تلك الكائنات العمياء..

ثم تغيَّرت لهجته إلى الاندهاش وهو يقول: تبًّا لهم!!

أرأيتم كيف انهم لا يصطدمون بالجدران.. إنهم يطلقون موجات فوق صوتية تصطدم بالأشياء الصلبة فتعود إليهم مجددًا.. يفعلونها مثل الوطواط.. تلك نظرية افترضها قائدنا. دارت معركة بيننا وبينهم أثناء محاولتنا الخروج من المدينة قتل مننا خمسة..

عدنا إلى الأحراش، وجدناها مكانًا مناسب للاختباء.. ظللنا فيها إلى أن انتهى الطعام الذي معنا..

فقرر قائدنا الخروج من الأحراش.. خرجنا من الأحراش وجدناكم تتجهون إلى معسكركم؛ فقام قائدنا وبعض من الجنود بفتح النيران عليكم..

فررتم مرة أخرى إلى الأحراش التي بجانب معسكركم؛ فقرر قائدنا وضع خطة تقضي أن نحاصركم..

قسمنا إلى فريقين: فريق يلتف من الخلف.. نحن كنا فيه.. والفريق الآخر يتوغل من داخل الأحراش. طبعًا حتى نستطيع الالتفاف حولكم.. تطلب الأمر أن نخرج من الأحراش المقابلة للمعسكر.. والتوجُّه إلى الأحراش التي بجانبه التي اختبئتم بها.. قابلنا تلك الذئاب ودارت بيينا معركة حامية الوطيس.

بالنهاية..

لم يتبقَ غيرنا.. أنا وصديقي (فاسيلي).. والفريق الآخر لم يظهر إلى الآن بالتأكيد، لقد تم إبادتهم جميعًا.. بالطبع تستطيعون أن تتخيلوا ما حدث..

لقد نجونا بأعجوبة شديدة.. لكني أصبت.. هناك شيء ما يمنع تلك الكائنات من دخول الأحراش.. لكننا لا نعلم ماهو..

جون: هذا ما حدث؟؟ لكن ما تلك الأشياء أيها الرفيق؟؟

قال الجندي المصاب: اسمي (كوربوف).. أعتقد أننا سمعنا أن تلك الأشياء هي نتاج تجربة جينية كان يقوم بها أحد علمائنا تحت مختبر تشيرنوبيل..

اتسعت أعين الجميع، وقالت إيميلي: ماذا تقصد بتجارب جينية؟؟

كوربوف: أعتقد أن جهة ما كانت تريد صنع إنسان لا يُقهَر؛ عن طريق دمج جينات بشرية بجيانت أخرى حيوانية.

قاطعه فاسيلي، وتمتم ببعض الكلمات الروسية ثم صمت..

فعاد كوربوف ليقول:

– إحدى الدوريات التي كنا نخرجها باستمرار بعد الكارثة.. أتت بجثة.. كانت جثة عادية لإنسان في العقد الثالث، ولكنه كان يمتلك خياشيم..

جاك: وأين هي هذه الجثة؟؟

كوربوف: لقد أحرقها قائدنا.. وقال لنا أن هذا مجرد وهم..

لكن في معسكرنا العديد من الصور لتلك الكائنات..

جون: إذن كل هذا من صنعكم؟؟ لكن لماذا سمحتم لنا بالدخول إلى هنا طالما لا تودون وجود رجل استخبارات أمريكي في دولتكم؟؟

كوربوف: القيادة السياسية هي من طلبت المساعدة من دولتكم.. لا يوجد أحد في موسكو يعرف بأمر تلك التجارب الشيطانية إلا بعض الضباط رفيعي المستوى في ال kgb .

جاك: وماذا ستفعلون بخصوص تلك الكائنات؟؟ وهل لديك فكرة كم عددها؟؟

كوربوف: لا اأرف لكنهم كثيرون جدًّا.. تلك الكائنات هي نواة الجيش الذي كان سيسقط دولتكم.. وأعتقد أن وحدات الجيش في طريقها إلى تشيرنوبيل بينما نحن نتحدث لتطهيرها تمامًا.

جون: وأنت لا تؤيد تلك التجربة؟؟ باعتبارها ستعيد مجد دولتك؟؟

زفر كوربوف ثم قال: اسمعني جيدًا.. أنا مقاتل.. تعلمت أن أقاتل بيدي.. أواجه عدوّي بسلاحي وبعقلي وقبلهم قلبي.. لا تُحسَم المعارك سوى بالحديد والنار فقط.

إيميلي: وجهة نظر تستحق الاحترام.. لكن ما علاقة الانفجار بانتشار تلك الكائنات وظهورها؟

كوربوف: يقال إن سبب انفجار المفاعل هو فشل في نظام التبريد الذي يبرد المفاعل فانفجر.. وتحررت تلك الكائنات بسبب الانفجار؛ لأن معامل التجارب كانت تحت الأرض على عمقٍ كبيرٍ ومحمية بالرصاص والجرانيت.. لكن كيف ظهرت على السطح لا ندري..

نسيت أن أذكر أيضًا أن هناك كتيبة أوكرانية كاملة بكامل عدتها وعتادها فُقِدَت عند المفاعل في قرية برابيت.. ولم تعد إلى الآن..

نهض فاسيلي من مكانه وهو يقول بإنجيليزيته الضعيفة: لقد سمعتم كوربوف.. هناك وحدات من الجيش قادمة لتطهير المدينة.. الأفضل أن نغادرها الآن لأنهم سيقتلون كل كائن حي يتحرك..

ثم ساعد كوربوف على النهوض وقال الأخير:

– معسكرنا ليس ببعيد عن هنا.. سنذهب إليه.. هناك يوجد طعام وماء وذخيرة.. وسنستقل مدرعة ونخرج بها من هنا..

قالت إيميلي في جزع: وقواتكم التي في الطريق.. والكائنات التي تمتلئ بها الطرقات.

كوربوف: لا تقلقي.. طالما نحن خارجِ المدينة لن يفعلوا شيئًا لنا..

جون: وماذا عن تلك الكائنات التي هاجمت معسكركم، ألا يمكن ان تعود وتهاجمه مرة أخرى؟؟

كوربوف: لا.. الكائنات لا تهاجم أي مكان أكثر من مرة واحدة فقط..

لم يبدُ على وجوههم الاقتناع بكلامه، لكنهم لم يكُن لديهم حل سوى الموافقة على الذهاب إلى الموت، أفضل مئة مرة من انتظاره.

فقال جاك: هيَّا بنا.. لنفعلها مرة أخرى..

*****

سار الجميع في طريقهم نحو المعسكر السوفييتي.. من خلال الأحراش تارة.. وتارة أخرى من خلال أزقة ضيقة.. وشوارِع يعبروها في حذرٍ، وبعد مسيرة استمرت لما يقارب الساعتين.. وصلوا إلى معسكر الكتيبة السوفييتية..

على المدخل توجد متاريس وحواجز صغيرة.. ويتكون من ثلاثة مباني، مبنى مبنى مكون من 4 طوابق والمبنيان الآخران كلٌّ منهما مكوَّن من طابقين..

وكذلك يوجد العديد من الخيم والعربات المدرعة وصناديق الذخيرة..

دخل الجميع في حذرٍ.. وللعجب هذه المرة كانت هناك بعض الجثث للجنود السوفييت القتلى، لكن لا توجد جثث لتلك الكائنات..

أخذوا يتفقدون المكان حتى تأكدوا تمامًا من خلوّه.. فتجمعوا في منتصف المعسكر وابتدأ جاك الكلام فقال: سيحلّ الليل بعد ساعة ونصف من الآن.. سنقوم بأخذ طعام وشراب ووقود للمدرعة التي سنهرب بها..

جون، اذهب مع فاسيلي، وتأكد أيًّا من تلك المدرعات تعمل وأعدها للتحرك..

إيميلي، أبقي أنتِ مع كوربوف، وأنا سأذهب لأحضر بعض المياه لنشربها قبل تحركنا..

ثم سال كوربوف: أين توجد المياه؟

كوربوف: الخزانات الرئيسية بالقرب من غرفة قائد الكتيبة التي تقع في مدخل المبنى الأيسر.

جاك: حسنًا.. لن أتأخر..

ذهب جاك إلى حيث وصف له كوربوف.. ووجد غرفة القائد فدخلها..

وجلس على المكتب، ثم أخذ يفتش في الأوراق التي أمامه..

كان هناك دفتر يوميات للكتيبة.. بها كل ما مروا به من أحداث من وقت خروجهم من موسكو حتى وقت هجوم الكائنات على معسكرهم..

ثم وجد بعض التوصيات..

منها تصفية ضابط المخابرات الأمريكي وبعثته؛ لأن وجوده خطر في تلك المنطقة..

كذلك وجد بعض الصور لتلك الكائنات التي تهاجمهم، ووجد أيضًا صورًا لكائنات أخرى؛ بشر مشوهون، وجد صورة لبشريّ لكن أذنه طويلة ومدببة.. وآخر له أنياب.. صور لكائنات بشعة، غريبة.. محاولة لمنافسة الخالق.. الآن عرف أصل تلك الكائنات.. إنهم بشر.. وقد تعرضوا لتجارب شيطانية.. بل إن الشيطان نفسه سيخجل من أن تنسب تلك التجارب له..

تجارب تعمل على دمج جيناتهم البشرية بجينات أخرى حيوانية.. إنهم مجروين وأشخاص محكوم عليهم بالإعدام.. وأشخاص آخرون تطوعوا للتجارب بطيب خاطر..

بشر عاديون تحولوا إلى آلات للقتل وإلى وحوش..

وجد على كل صورة اسمًا مبسطًا باللاتينية لتلك المخلوقات، ونقط ضعفها، ومعلومات بيولوجيه عنها..

وكذلك وجد رسائل بين القيادة في موسكو وقائد تلك الكتيبة..

كل تلك الأشياء بالنسبة لرجل مثله فهي كنز.. وجد حقيبة جلدية صغيرة.. فقام بأخذ كل تلك الأشياء في الحقيبة وأغلقها.. ثم خرج من المبنى..

خرج متسللًا حتى لا يراه أحدٌ.. ووصل إلى الجهة التي يوجد بها فاسيلي وجاك.

وجد فاسيلي منهمكًا في تعبئة بعض أمشاط الذخيرة بالرصاص، ووجد جاك يعبث في إحدى المدرعات.

تمم على شيء ما في جيبه.. ثم تقدَّم منهما وهو يقول في هدوء: هل انتهيتما؟

فزِع الاثنان والتفتا إليه في حركة حادة، في حين قال جون بلهجة حادة وكأنه يعاتبه على إفزاعه: أجل..

جاك: حسنًا، أيٌّ من تلك المدرعات تعمل..

أشار له فاسيلي على إحدى المدرعات وهو يقول: تلك تعمل ومفتاحها بالداخل.. وهي مليئة بالوقود أيضًا لقد انتهيت من فحصها.

قال جاك وهو يسير ببطء ناحية فاسيلي: جيِّدجدًّا..

ثم وقف خلفه وهو منهمك في ملء أمشطة الذخيرة.. ثم استل من حزامه خنجرًا وذبح به فاسيلي بحركة واحدة و بدمٍ باردٍ..

أخذ فاسيلي يشهق ويجاهد لكي يمارس حقه الطبيعي في التنفس.. وأمسك بيده اليمني جرح رقبته في محاوله منه لمنع الدم، في حين أخذ يلوح بيده اليسرى احتجاجًا على هذا الغدر..

ثم سقط كجلمود من الصخر.. وقد أزهقت روحه..

كان جون ينظر إلى ماحدث غير مصدق؛ فرفع مسدسه في وجه جاك وهو يقول: ماذا فعلت أيها المجنون؟!

أسقط جاك الخنجر ورفع يده فوق رأسه وهو يقول: هؤلاء الأوغاد يكذبون علينا، لقد كنت في غرفة قائدهم.. إنهم منذ اللحظة الأولى يعرفون بأمر تلك الكائنات..

خفض جون سلاحه وهو يقول: كيف ؟؟

أخذ جاك يقترب منه وهو يقول: علمت أيضًا انهم يحاولون أخذنا إلى خارج المدينة حتى تتعامل معنا قواتهم.. لأنهم هم كل من تبقى بالكتيبة، ونحن نفوقهم عددًا وأحدهم مصاب ولن يقدروا على تصفيتنا..

فأرادوا أخذنا للخارج ليتولى رجالهم الأمر..

عقد جون حاجبيه في غضب وهو يقول: الأوغاد..

أنزل جاك يده بعد أن أصبح أمام جون تمامًا قائلًا له في هدوء: لا تقلق، سنتخلص من السوفييتي الآخر.. ثم نخرج من المدينة وسأتصل بأحد رجالنا في كييف وسيدبر لنا طريقًا للخروج من موسكو..

خاصة وأن هناك جهات رسمية لا تعمل بالأمر وسيعاملوننا بطريقة دبلوماسية.. حتى إن قواتهم بالخارج ستساعدنا..

ضرب جون جبهته براحة يده وهو يكرر: الأوغاد.

وضع جاك يده اليسرى في جيبه وهو يلوّح بيده اليمنى في الهواء وهو يقول: لا تقلق يا صديقي..

ثم أخرج يده اليسري من جيبه حاملًا بها مسدسًا صغيرًا وهو يقول في شراسة مفاجئة: ستموت قبل الوغد السوفييتي..

فوجئ جون بالمسدس الذي يحمله جاك، ولكنه لم يجعل المفاجأة تشل تفكيره.. بل انحنى يسارا تفاديًا لأي رصاصة غادرة ثم أمسك معصم جاك في قوة وقام بلوي معصمه..

فأفلت الأخير مسدسه رغمًا عنه وقال جون: أنت الحقير.. أنت لا تختلف عن الشيطان الذي قام بتلك التجارب في شيء..

حاول جاك توجيه لكمة له لكنه تفادها بمهارة وهو يقول: لا أنا لست شيطان أنا ضابط مخابرات ومعي معلومات.. قد تقضي مخابراتنا سنوات لجمع نصفها..

قام جون بركلة في معدته وهو يقول: ولماذا تحاول قتلنا أيها الوغد؟

انثنى جاك من أثر الركلة لكنه اعتدل بسرعة عالية وهو يقول: معلومات كتلك لا ينبغي لأحد غير مختص بأن يعرفها.. إذا نجوت منّي فلن تنجو من السوفييت أو حتى رجالنا.. لقد عرفت الكثير.. ورأيت الأكثر..

انتهى من كلماته ثم انقضّ على جون وطوق خصره بذراعيه وأسقطه أرضًا وسقط معه.. .لم يستسلم جون فقام بلكمة بين عينيه.. لكن جاك لم يتأثر بها.. كان مقاتلًا لا يشق له غبار..

فقام بضرب جون عدة ضربات بمرفقه حتى سالت الدماء من أنف الأخير معلنة تحطمها..

ثم نهض جاك من فوق جون وترنح حتى وصل إلى مسدسه فالتقطه وعاد إلى حيث سقط جون قائلًا له: أنت جعلت الأمور صعبة.. لماذا لم تمت في هدوء؟

ثم صوَّب مسدسه إلى رأس الأخير.. وأطلق رصاصة استقرت بين عينيه تمامًا..

وقف أمامه لحظات ثم فوجئ بصوت إيميلي وهي تقول له بكل ذعر ورعب الدنيا: ماذا فعلت؟؟ لماذا قتلته؟؟ هل تعمل مع السوفييت؟؟

قال جاك: تبًّا.. لقد أنهيت لتوّي محاضرة سخيفه لهذا الغبي أشرح له أسباب قتلي له ولا أنوي أن أعيدها مرة أخرى..

إيميلي جون هو الجاسوس السوفييتي..

انعقد حاجبا إيميلي في تعجب وهي تقول غير مصدقة: جاسوس سوفييتي.. كيف؟؟

جاك: بربِّك كيف عرف السوفييت بوجود رجل مخابرات بين بعثتنا..

ثم كيف وصل هذان الأحمقان إلينا في الأحراش..

بدت عليها علامات الحيرة فتابع: ثم الذي أكَّد لي أكثر ان هذا الوغد جاسوس، هو أني عندما ذبحت الجندي السوفييتي ثار وحاول مهاجمتي..

ظلت إيميلي غير مصدقة لكلام جاك فعاجلها هذا الأخير قائلًا: حسنًا، أتريدين إثباتاً؟؟

قالت بسرعة: أجل؟؟

قال بهدوءٍ شديدٍ: حسنًا..

ثم رفع مسدسه بسرعة خاطفة وعاجلها برصاصتين في رأسها وهو يقول: هذا هو إثباتي أيتها العاهرة..

تلقت إيميلي الرصاصتين وعيناها متسعتان في دهشة وألم، ثم سقطت على الأرض.

مرَّ جاك بجانبها وهو يقول لنفسه: حسنًا.. حان دور السوفييتي الآخر.

خرج من خلف المبنى.. فلم يجد كوروبف.. جن جنونه وأخذ يدور حول نفسه كالمسعور..

ثم طفق يبحث عنه في كامل أرجاء المعسكر فلم يجده..

قرر الرحيل ومغادرة المدينة..

قام بأخذ بعض الماء وأخذ مدفع رشاش إضافيًّا، وبعض الذخيرة الإضافية، ثم ركب المدرعة السليمة وهو يقول: من الجيد أني أعرف كيفية قيادة تلك الأشياء..

وجد صعوبة في بادئ الأمر في تشغيلها وتحريكها ولكنه نجح أخيرًا في السير بها. خرج من بوابة المعسكر، ثم قال محدثًا نفسه وهو يضحك في سخرية:

– من الجيد أني احتفظت بخريطة نيد..

ثم أخرج الخريطة من سترته، ونظر فيها للحظات وهو يقول: جيِّد جدًا، نصف ساعة وأكون خارج تلك المدينة المشئومة ومعي كنز من المعلومات..

بعد نصف ساعة، نجح بالفعل في الخروج من تشيرنوبيل.. وأصبح الآن في طريقه إلى أقرب مدينة مأهولة بعد تشيرنوبيل..

واصل المسير لنصف ساعة أخرى..

ثم فجأة سمع صوت قرقعة عنيفة في مؤخرة المدرعة..

أخذ يسبّ ويلعن.. الظلام قد حلَّ.. ولكنه طمأن نفسه بأن تلك الكائنات لم تخرج من حدود تشيرنوبيل بعد..

أخذ كشّافا صغيرًا ومسدسه وفتح باب المدرعة وهو ينزل إلى حيث محرّك المدرعة.. فتح غطاء المحرِّك الذي لم يلبث أن أخرج دخانًا أسود كثيفًا..

لم يدرِ جاك ماذا يفعل.. الظلام قد حلَّ والمدينة التالية المأهولة تحتاج على الأقل لثلاث ساعات من السير..

بدأ الخوف يدب في قلبه..

وفجأة سمع خلفه صوت زمجرة خفيفة جمّدت الدم في عروقة..

فالتفت خلفه ببطء فوقع نظره على كائن من تلك الكائنات الشبيهة بالذئاب.. يقف خلفه مباشرة.. لأول مرة يرى تلك الأعين.. إنها بشرية.. لكنها تحمل قسوة وشر وخبث العالم كله.

ثم سمع صوتًا غليظًا جدًّا ومحشرجًا يقول له بلغة إنجليزية لكنها بلكنة روسية: "مرحبًا..!!"

تمَّت

تشيرنوبيل



أحمد ناصر **2015/12/3**

* * *